المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
مركز شئون الدعوة
الدورات التدريبية

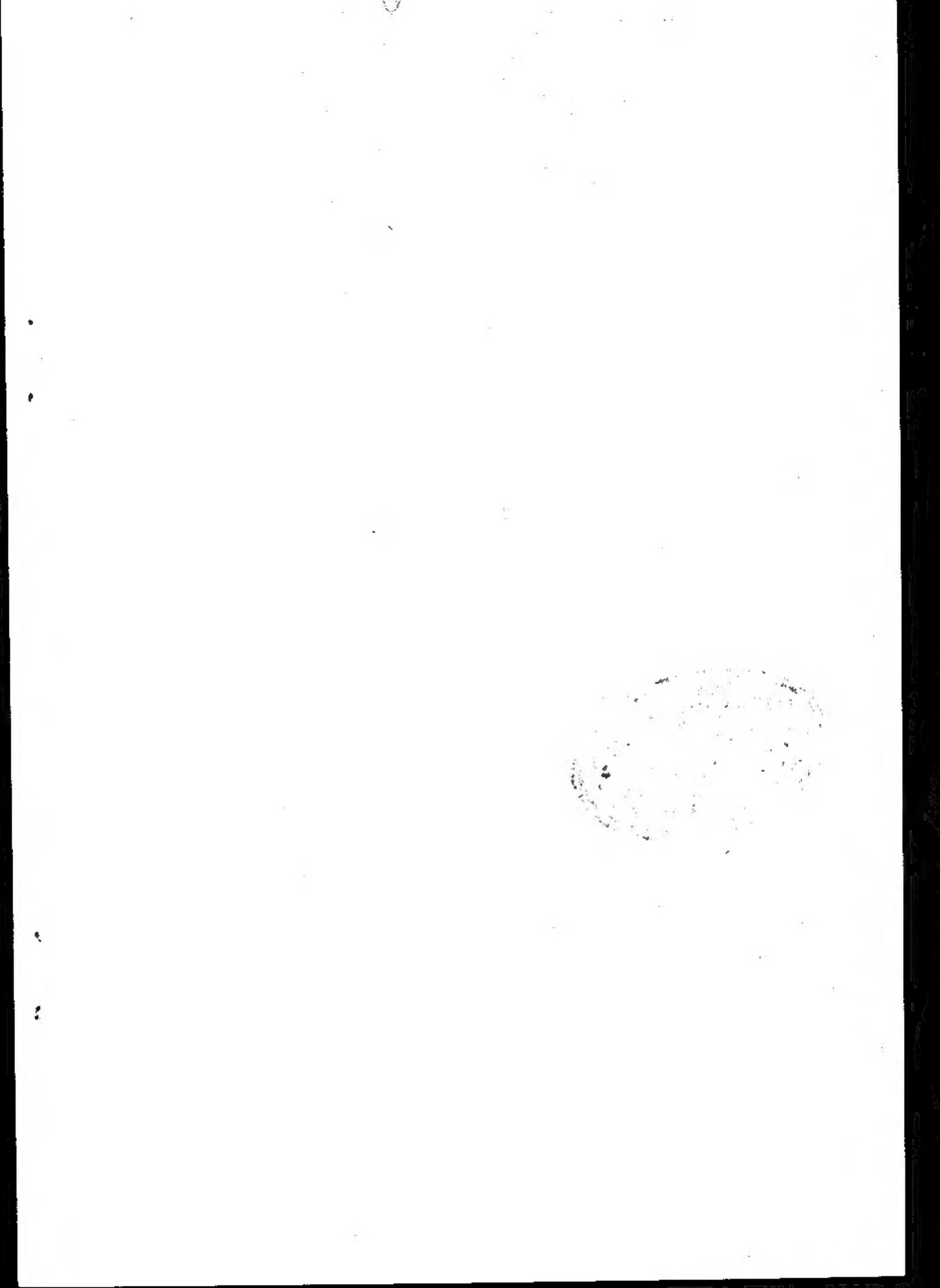
تفسير القرآن الكريم



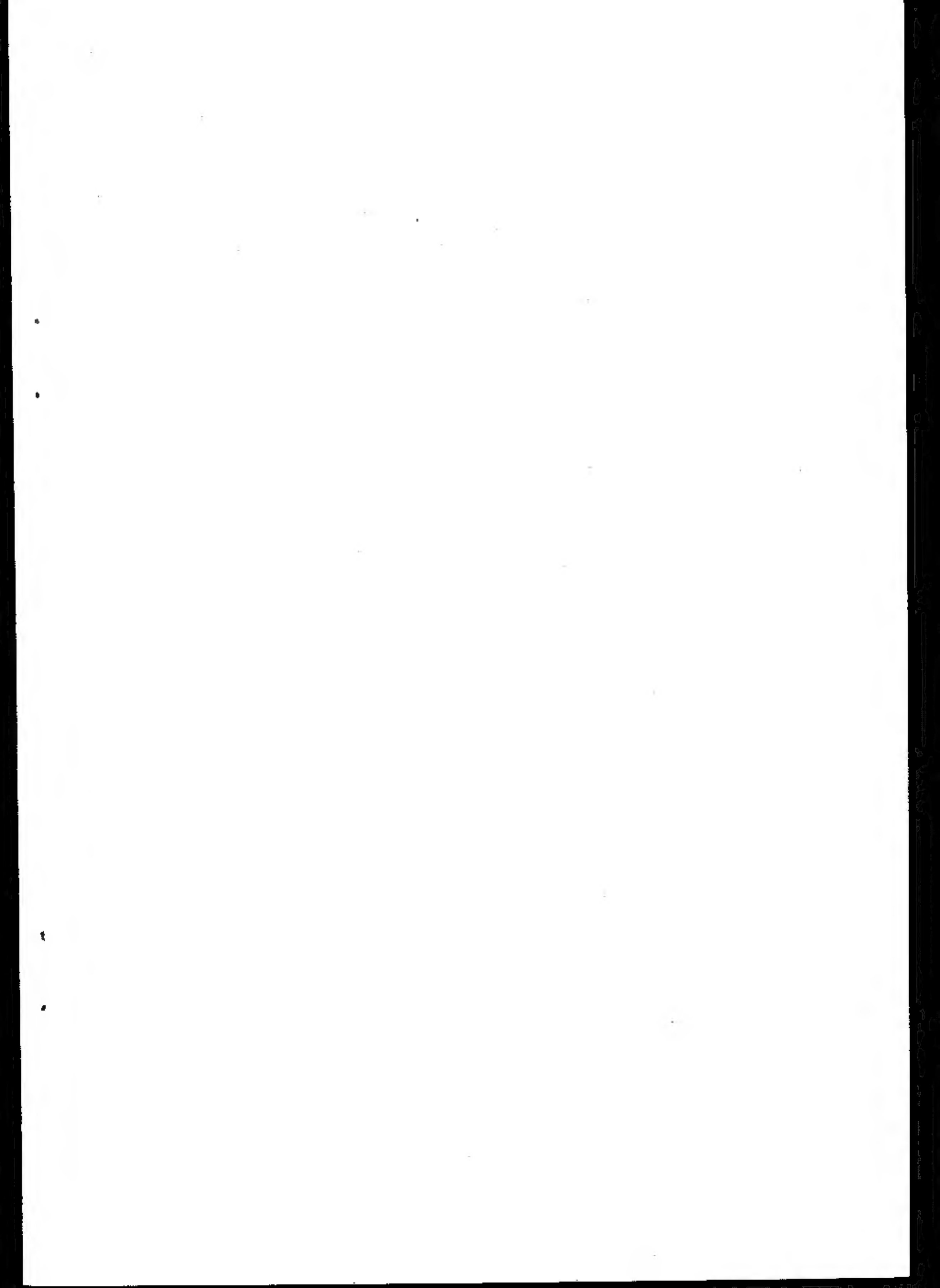
إعداد الأستاذ
أحمد الكردي

المحتـــــــوى

الفهرســت




بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله نستعينه ونستهديه . ونصلى ونسلم على نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته .

«وبعد»

فهذه مذكرة ميسرة قصدت أن أقدمها للأخوة الدارسين للقرآن الكريم ممن لم تتح لهم دراسة متخصصة فى العلوم العربية والإسلامية . ولمن يعملون فى حقل المدارس العربية الإسلامية فى البلاد الناطقة بغير العربية .

وقد حاولت أن أجعل وضوح المعنى للعبارة القرآنية هدفا أساسيا كما قصدت أن يكون النص القرآنى الكريم مجالا لتوضيح المبادىء الإسلامية التى يشير إليها النص وذلك بضم الآيات القرآنية المناسبة له دون مبالغة ولا اسراف . كما قصدت أن أبتعد عن الاصطلاحات الفنية التى يصعب فهمها على غير المتخصصين . وحاولت أن أتبع كل نص بتدريبات ميسرة . قد تساعد على استيعاب المعنى وتوضيحه . وفقنا الله للخير وهدانا إليه ، ،

أحمد الكردى

سُورَةُ ٱلفَاتِحَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ
يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ
ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

ســورة الفاتحة

سورة الفـاتحـة هى أول سورة فى القرآن الكريم ، ونزلت فى مكة ، وآياتها سبع ، وهى أعظم سور القرآن الكريم ، يقول رسول الله ﷺ :

«والـذى نفسى بيـده ما أنـزل الله فى التوراة ولا فى الإنـجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها : إنها السبع المثانى[١] .

ويقول رسول الله ﷺ :

«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[٢] . .

بل هى السـورة التى توضـح للمسلم طريق دينه من عقيدة وشريعة وسلوك :

«بسم الله الرحمن الرحيم» :

أى باسم الله نبتـدىء عملنـا ، وبـاسم الله نستعـين ، وهى كلمـة كلهـا خير وبركة ، لذلك يستحب للمسلم أن يقولها فى أول كل عمل وقول .

فقد جاء : ـ

«كـل أمـر لا يبـدأ فيـه ببسم الله الـرحمن الـرحيم فهـو أجزم[٣] . . أى لا خير فيه ولا بركة .

الله : علم على الرب تبارك وتعالى لا يسمى به غيره .

---

(١) رواه الامام أحمد.
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه أبو داود وابن ماجه .

الرحمن الرحيم : صفتان لله تدلان على واسع رحمته وعظيم فضله، يقول الله تعالى: ﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾(1).

الحمد لله : الله وحده المستحق للشكر والثناء، لأنه المنعم علينا والخالق لنا والرحيم بنا.

رب العالمين : الرب: المالك المتصرف، والعالمين: المخلوقات فالله وحده أوجد المخلوقات وهو وحده يرعاها. ويربيها، ويتصرف بحكمته وقدرته فيها.

الرحمن الرحيم ٭مالك يوم الدين:

يوم الدين: يوم الحساب والجزاء، وهو يوم القيامة، وهذا اليوم لا سلطان فيه لأحد إلا الله:

﴿لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار﴾(2).

﴿الملك يومئذ الحق للرحمن، وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾(3).

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، والأمر يومئذ لله﴾(4).

وهكذا قدمت السورة فى مطلعها عقيدة المسلم:

١ - فإله المسلم واحد: باسم الله.

٢ - يتصف بصفات الكمال: الرحمن الرحيم.

٣ - ويستحق الحمد والثناء: الحمد لله.

---

(1) سورة الأعراف - ١٥٦.

(2) سورة غافر / ١٦.

(3) سورة الفرقان / ٢٦.

(4) سورة الانفطار / ١٩.

٤ ـ وهو المتصرف فى كونه بإرادته وقدرته : رب العالمين الرحمن الرحيم .

٥ ـ يرجع إليه الخلق يوم القيامة فيحاسبهم ويجازيهم ﴿**مالك يوم الدين**﴾ . . ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ : أى لا نعبد إلا إياك ولا نطلب العون إلا منك .

وهذا كمال الطاعة وكمال الدين ، فالدين كله يرجع إلى هذه الآية الكريمة ، إذ فيها كمال التوحيد ، وكمال التوكل : قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن .

وسر الفاتحة : إياك نعبد وإياك نستعين ، فالأولى تبرؤ من الشرك ، والثانية تبرؤ من الحول والقوة .

وكما كانت الآيات تلخص عقيدة التوحيد فإن هذه الآية تلخص شريعة المسلم :

١ ـ فالمسلم يعبد الله بما أمره الله به .

٢ ـ والمسلم لا يطلب العون من غير الله لأن الله حرم عليه ذلك .

٣ ـ والعبادة الحقة لا تكون إلا لله .

والعبادة هى الخضوع والطاعة مع الرضا والحب للمعبود .

﴿**اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم • غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ .

اهدنا : أرشدنا ووفقنا وألهمنا .

الصراط المستقيم : الطريق الذى لا عوج فيه ، وهو الإسلام .

الذين أنعمت عليهم : الذين هديتهم إلى الحق ، وهذا طريق المسلم دائما ، إنه يدعو الله أن يهديه إلى

الحق وإلى الخير، وإلى أن يسلك طريق
الصالحين الطائعين، وأن يبتعد عن طريق
الكافرين والضالين.

والسورة تعلمنا أن نتجه إلى ربنا داعين له بعد أن نعرفه معرفة سليمة، وبعد الثناء عليه، وبعد الالتزام بما شرع فقد ورد: أن الدعاء هو العبادة[1] «والله يأمرنا أن ندعوه»: ﴿**ادعونى استجب لكم**﴾[2].

وطريقنا الذى ارتضاه لنا ربنا طريق وسط، فلا هو طريق الذين بدلوا الحق فغضب الله عليهم، ولا هو طريق الذين ضلوا فى معرفة الحق فابتعدوا عن الصراط المستقيم، إنه طريق الإسلام، الطريق الوسط.

﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**﴾[3].

إنه طريق المؤمنين الطائعين. وليس طريق اليهود المغضوب عليهم، ولا طريق النصارى الضالين.

يقول رسول الله ﷺ: «المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى»[4].

وهكذا نجد السورة فى الحلقة الثالثة توضح سلوك المسلم:

١ - إنه سلوك الهدى والرشاد.

٢ - إنه الطريق الوسط، الطريق المستقيم.

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن.

(٢) سورة غافر / ٦٠.

(٣) سورة البقرة / ١٤٣.

(٤) رواه أحمد فى سنده.

٣ ـ إنه طريق الإسلام، طريق الكتاب والسنة.

٤ ـ إنه طريق الطائعين المتقين، وليس طريق المغضوب عليهم ولا طريق الضالين.

المناقشة

١ ـ سورة الفاتحة لها فضل عظيم، ماذا تعرف من فضلها ؟

٢ ـ الفاتحة

أول ما نزل من القرآن. آخر ما نزل. نزلت فى مكة.

اختر الإجابة الصحيحة.

٣ ـ الفاتحة ....

نقرؤها: على الأكل عند الصوم فى كل صلاة.

٤ ـ اشتملت الفاتحة على قواعد الإسلام فى .

١ ـ .... ٢ ـ .... ٣ ـ ....

التجارة، العقيدة، الزراعة، الشريعة، السلوك.

اختر ثلاث كلمات مناسبة وضعها مكان النقط.

٥ ـ عقيدة المسلم تشتمل على:

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

أجب مما فهمته من السورة.

٦ ـ شرط العبادة أن تكون (أ) .

(ب)

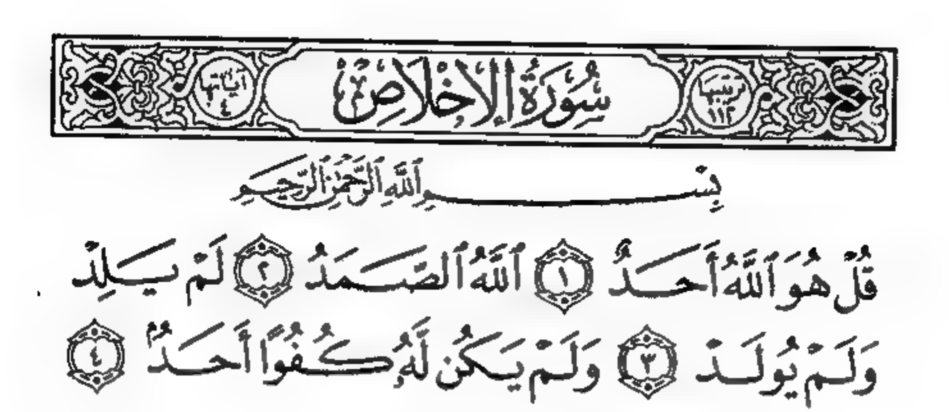
أجب مما فهمته من السورة.

٧ ـ طريق المسلم فى حياته هو:ـ

(أ) . .

(ب) . . . .

(ج) . . . .



سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

ســورة الاخــلاص

عقيدة المسلم فى التوحيد

﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾..

الصمـد : السيد المقصود فى الحاجات ، الذى لا يقضى أمر إلا بإذنه.

كفـوا : مماثلا ومشابها.

هذه السورة الكريمة مكية، نزلت لتوضيح عقيدة التوحيد التى ارتفع بها الإسلام فوق كل الأديان، فقد سئل رسول الله عن ربه ما هو: فنزل قوله تعالى : ﴿قل هو الله أحد﴾.

قـــل : أمر من الله لرسوله ولكل مسلم أن يعلن هذه الحقيقة التى ضل عنها الناس وهى حقيقة التوحيد الخالص التى اشتملت على أربعة مبادىء تجمع صفاء التوحيد وجماله ، وترد على أكاذيب الأديان الباطلة.

هو الله أحد : فليس الإله كما تزعم المجوسية إلهين، فالله واحد :

﴿وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فارهبون﴾(١).

ولا هو ثلاثة كما قالت النصارى:

---

(١) سورة النحل / ٥١

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد﴾[1].

ولا هو أكثر من ذلك:

﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون، لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا﴾[2].

الله الصمد : الله هو السيد الذى يتصرف فى خلقه ويدبر أمر عباده، ويتجه إليه العباد فى حاجاتهم، يدعونه فيستجيب دعاءهم، وهو الذى يقضى فى كل أمر بإذنه، ولا يقضى أمر إلا بإذنه، وعباده، محتاجون له، وهو غنى عنهم:

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغنى الحميد﴾[3] فالله هو الواحد الأحد، وهو الفرد الصمد.

لم يلد : الله له الكمال المطلق، غنى عن غيره، فلا يحتاج إلى ابن يتكاثر به أو يتقوى به أو يستعين به سبحانه، اتصف بالكمال منذ الأزل، فلا يعتريه النقص فجأة فيحتاج إلى الولد.

﴿وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾[4].

---

(١) سورة المائدة / ٧٢.
(٢) سورة الانبياء / ٢١ - ٢٢.
(٣) سورة فاطر / ١٥.
(٤) سورة التوبة / ٣٠.

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم، بل أنتم بشر ممن خلق﴾(١).

﴿ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون﴾(٢).

﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله، وإنهم لكاذبون﴾(٥).

ولم يولد : فسبحانه واحد فرد منذ الأزل لم يسبق بأبوة أو أمومة، فهو الغنى لا يحتاج إلى حنان أم، ولا إلى معونة أب، وهو قديم لا أول لوجوده.

(كان الله ولا شيء معه)(٤).

فلم تكون له أم، ولم يكون له أب، وهو خالق الأم والأب.

﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء﴾(٥).

ولم يكن له كفوا أحد: لم يوجد، ولن يوجد له مماثل أو نظير أو مساو فى حقيقة ذاته، ولا فى حقيقة صفاته، ولا فى حقيقة أفعاله، فالله متفرد ذاتا ومتفرد صفات ومتفرد أفعالا.

---

(١) سورة المائدة / ١٨.
(٢) سورة المؤمنون / ٩١.
(٣) سورة الصافات / ١٥٢.
(٤) رواه البخارى.
(٥) سورة المائدة / ١٧.

﴿ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير﴾[1].

﴿فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[2].

﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق، أفلا تذكرون﴾[3].

﴿وله المثل الأعلى فى السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم﴾[4].

﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم﴾[5].

هذه السورة الصغيرة فى حجمها العظيمة فى معانيها قال عنها رسول الله إنها تعدل ثلث القرآن، فهى توضح أعظم ما جاء به الإسلام وهو عقيدة التوحيد التى امتاز بها عن سائر الأديان حتى ليمكن أن نسميه دين التوحيد الخالص، فهى تقدم لنا حقيقة التوحيد فى هذه المبادىء الأربعة :ـ

١ ـ وحدانية الله:

أ ـ فالله واحد فى ذاته فليس له ند ولا نظير.

ب ـ والله واحد فى صفاته، فكل صفاته صفات كمال لا يشاركه غيره فيها، وكل ما خطر ببالك غير ذلك «إن علمه شامل لما كان وما يكون وما هو كائن، إن قدرته نافذة، ولا يعجزه شىء فى السموات والأرض. . «ألا له الخلق والأمر. . . . الخ».

(١) سورة الشورى / ١١٧.
(٢) سورة النحل / ٧٤.
(٣) سورة النحل / ١٧.
(٤) سورة الروم / ٢٧.
(٥) سورة الحديد / ٣.

ج ـ واحد فى أفعاله : ففعل الله يناسب قدراته ويناسب علمه ويناسب إرادته ﴿**الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر، كل يجرى لأجل مسمى، يدبر الأمر، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون**﴾(١).

والله هو رب هذا الكون وسيده، خلقه من عدم، وسيره بحكمته، ورعاه بعنايته، وتولاه بنعمه وفضله. ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾(٢).

وهو الذى يلجأ إليه عباده داعين ضارعين يجيب دعوة الداعى إذا دعاه :

﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**﴾(٣).

﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض، أإله مع الله، قليلا ماتذكرون**﴾(٤).

الله لم يلد: فكل . سواه ومن سواه مخلوق له، خاضع له، صنعة يده، والله كامل منذ الأزل لا يحتاج إلى الولد، وكل الخلائق محتاجة إليه.

والله لم يولد: هو الأول فليس شىء قبله، ليس قبله أب وليس قبله أم ولا يعتريه الضعف والنقص فيحتاج إلى

---

(١) سورة الرعد /٢.
(٢) سورة لقمان / ٢٠.
(٣) سورة البقرة / ٨٦.
(٤) سورة النحل / ٦٢.

معونة أب أو أم، ولا يعتريه التغير فيتحول من إله إلى ابن إلّه، هو كامل منذ الأزل.

والله لا مثيل له: فكل من فى الكون عباد: الملائكة عباد، والرسل عباد، والبشر عباد، فكيف يماثلون سيدهم ؟.

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾[1].

المناقشـــــة

١ ـ لماذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ؟.

٢ ـ تشتمل سورة الإخلاص على مبادىء أربعة فى العقيدة هى :-

ـ ـ

ـ ـ

٣ ـ ماذا تعنى وحدانية الله ؟.

٤ ـ ترد سورة الإخلاص على العقائد الباطلة فى الوحدانية - من هذه العقائد:

تعدد الآلهة و و و

---

(١) سورة النساء / ٧٢.

٥ ـ قالت النصارى المسيح ابن الله ، فما ردك عليهم ؟ .

٦ ـ قالت المجوسية فى الكون إلهان ، فما ردك عليهم ؟ .

٧ ـ ليس كمثله شىء فى ذاته . .

وفى

وفى

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

﴿ســورة الزلزلــة﴾

عقيــدة البعــث

أخــرج ابن أبى حاتم عن سعيــد بن جبـير قال لما نزلت: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ . . . «كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامـون على الـذنب اليسـير : الكـذبـة والنظرة والغيبة وأشباه ذلـك، ويقـولون إنما وعد الله النارعلى الكبار، فأنزل الله تعالى : **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾**.

اللغـــــــة :

زلزلت الأرض	: تحركت الأرض واهتزت بشدة.
زلزالهـــا	: حركتها واهتزازها.
أثقالهـــا	: ما فى بطنها من كنوز ومعادن وأموات.
تحـــــدث	: تخبر.
أوحى لهـــا	: أمرها.
يصدر النـاس	: ينصرفون من موقف الحساب.
أشتاتـــا	: متفرقين.
ليروا أعمالهم	: ليروا جزاء أعمالهم من خير أو شر.
مثقال ذرة	: وزن ذرة صغيرة.
ذرة	: أصغر شيء من المادة.
يــــره	: يجد جزاءه.

هذه السورة تتحدث عن عنصر هام من عناصر عقيدة المسلم وهو البعث والجزاء يوم القيامة، وهذا اليوم هو نهاية الحياة الفانية، وبداية الحياة الباقية، وهو يوم يمثل عدالة الله فى خلقه، حيث يأخذ كل مخلوق جزاء عمله، فلا يضيع حق، ولا يرتفع باطل، ولا يذهب الظالم بظلمه، ولا يشقى المظلوم بما نزل به، إنه اليوم الذى يمثل استقامة موازين الله فى خلقه، وبغيره يصبح الكون عبثا بلا حكمة . .

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، وأنكم إلينا لا ترجعون، تعالى الله الملك الحق﴾[1].

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾[2].

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار﴾[3].

هذا هو يوم الجزاء ويوم الحساب ويوم العدالة:

﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين﴾[4].

وفى هذا اليوم يتبدل كل شىء:

﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾[5].

---

(١) سورة المؤمنون / ١١٥.

(٢) سورة القيامة / ٣٦.

(٣) سورة ص / ٢٨.

(٤) سورة الانبياء / ٤٧.

(٥) سورة ابراهيم / ٤٨.

فتتحرك الأرض وتزلزل، وتسير الجبال وتصبح ذرات هائمة فى الكون.

﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا﴾[1].

﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾[2].

وهنا يخرج كل ما فى الأرض فيصبح ظاهرا على وجهها، فتصبح معادنها بادية ظاهرة، ويخرج الموتى ظاهرين فوقها.

﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعا، ذلك حشر علينا يسير﴾[3].

ويخرج الخلائق من قبورهم حيارى، فيتساءلون: مالها؟ ما للأرض ألقت ما فيها وتخلَّت:

يومئذ تحدث أخبارها: أى تتحدث عن أخبار الناس الذين عاشوا فوقها، وتشهد بما صنعوا، روى الإمام أحمد عن أبى هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ:

يومئذ تحدث أخبارها: أتدرون ما أخبارها، قالوا الله ورسوله أعلم، قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها.

بأن ربك أوحى لها: أى أن ربها أمرها أن تنشق لتخرج ما فى باطنها وأن تكشف ما اختفى فيها، فلن يستطيع أحد أن يهرب من ربه:

﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾[4].

---

(١) سورة طه / ١٠٥.
(٢) سورة القارعة / ٤.
(٣) سورة ق / ٤٤.
(٤) سورة الحاقة / ١٨.

يومئـذ يصـدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم : أى فى هذا اليوم العظيم يرجـع النـاس عن موقف الحسـاب أصنـافـا مختلفة، هذا شقى، وهـذا سعيـد، هذا له الـدرجات العالية فى الجنة، وهذا له الدرك الأسفل من النار، فيرجعون ليشاهدوا جزاء أعمالهم فى الجنة أو فى النار، ذلك لأن موازين الله عادلة» .

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره : فالناس مجزيون عن أعمالهم كلها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، والله لا يغيب عنه شىء .

﴿يـا بنى إنهـا إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله﴾(١) .

وكل أعمالنا مسجلة علينا فى كتاب . .

﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا﴾(٢) .

وهكـذا تعزز هذه السورة القواعد التى ميزت عقيدة البعث فى الإسلام وهى :

١ ـ ان الخلق جميعا يبعثون يوم القيامة .

﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾(٣) .

٢ ـ إن هذا العالم يفنى ويزول . .

﴿كل من عليها فان﴾(٤) .

---

(١) سورة لقمان / ١٦ .

(٢) سورة الكهف / ٤٩ .

(٣) سورة الكهف / ٤٧ .

(٤) سورة الرحمن / ٢٦ .

﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾[1].

٣ - إننا مجازون على أعمالنا خيرا كانت أو شرا . . .

﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾[2].

٤ - إننا شهداء على أنفسنا، ويشهد بعضنا على بعض، ويشهد علينا ما حولنا.

﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم﴾[3] . . **﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم﴾**[4].

٥ - إن كل إنسان مسئول عن عمله ومجازى به . .

﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى﴾[5] . . **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**[6].

٦ - وهذا يعنى أنه لن يفيدنا إلا أعمالنا، فلا ينفعنا قريب أو حبيب.

﴿يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من رحم الله﴾[7] . . **﴿واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق﴾**.

وهؤلاء الذين يدعون أنهم يستطيعون أن يعطوا الغفران للناس، وأن يفتحوا لهم أبواب الجنة خادعون كاذبون . .

---

(١) سورة القصص / ٨٨.
(٢) سورة الجاثية / ٢٩.
(٣) سورة النحل / ٨٩.
(٤) سورة النور / ٢٤.
(٥) سورة النجم / ٣٩.
(٦) سورة فاطر / ١٩.
(٧) سورة الدخان / ٤١

وهؤلاء الذين يدعون نبيا أو إنسانا أراق دمه ليفدى البشرية من خطاياهم خادعون كاذبون . .

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[1] . . **﴿وكل امرىء بما كسب رهين﴾**[2] .

٧ ـ والأعمال كلها لها وزن عند الله صغرت أو كبرت، وقد فتح الإسلام بذلك أبواب الخير واسعة، وجعل أبواب الشر مغلقة .

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . . ﴾ .

ولقد تربى المسلمون بهذه الآية على فعل الخير . .

كيف كان : ـ

هذا رسول الله ﷺ يقول :

«لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» أى باسم . .

ويقول :

﴿اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة﴾[3] .

وقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بعنبة، وقالت كم فيها من مثقال ذرة؟ كما استعظم المسلمون الذنب أيا كان حتى ضعفت قلوبهم وسلمت ضمائرهم يقول صلوات الله عليه : «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا»[4] .

---

(١) سورة المدثر / ٢٨ .

(٢) سورة الطور / ٢١ .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه أحمد .

تدريبـــــات

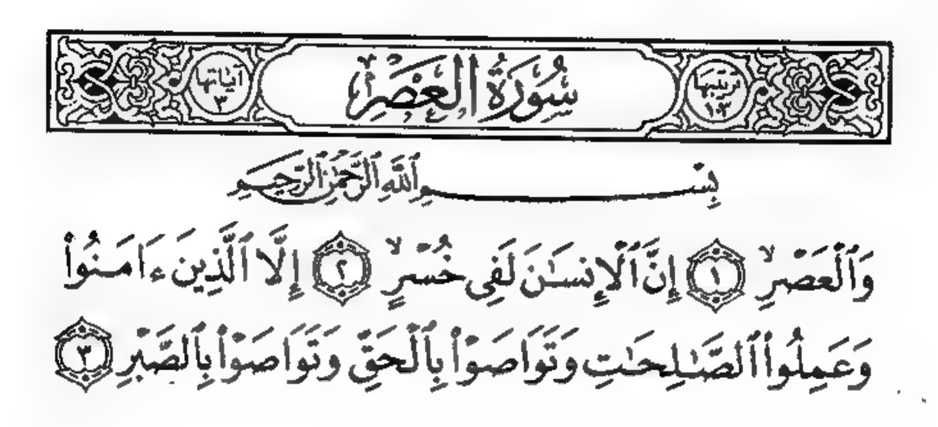
١ - متى تزلزل الأرض ؟ وماذا يخرج منها ؟ .

٢ - تزلزل الأرض يوم .. .. لأن الله
لها . ... ويخرج من باطنها .... و

٣ - تشمـل عقيـدة المسلم الإيـمان بالله و
و .. . . و

٤ - يوم القيـامـة يصـدر .... أشتـاتـا ليروا
جزاء . سواء كانت . أم . .

٥ - تؤكد عقيدة البعث هذه الحقائق :-
١ - أن الناس .... يوم القيامة .
٢ - وأنهم .... على أعمالهم .
٣ - وأن من عمل .... دخل الجنة .
٤ - ومن أساء .. . . . .


سُورَةُ العَصۡرِ

آياتها ٣ — ترتيبها ١٠٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾

ســـورة العصـــر

الاســـلام والحيـــاة

﴿والعصـر إن الإنسـان لفى خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ . .

اللغـــــــة :

العصـــر : الزمان.

خســـر : خسران وهلاك وضياع .

تواصـوا : أوصى بعضهم بعضا، ونصح بعضهم بعضا .

التفســـير :

هذه السـورة الكـريمـة توضـح منهـج الإسـلام فى الحياة ، وتشـرح نظـرة الإسلام إلى مجتمعات الناس ، هذه النظرة الشاملة تلخصهـا السـورة فى كلمات قليلة ولكنهـا جامعـة ، فالنـاس جميعا ضائعـون خاسـرون إلا من آمن وعمـل الخـير وتـواصى مع إخوته بالتزام الحق والصبر على ما يلاقى . .

ولأن هذه السورة ترسم للدنيا طريق الصلاح والفلاح . .

«كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقـرأ أحـدهما على الآخر سورة العصر، ثم يسلم أحدهما على الآخر»[1] . .

ولأن هذه السورة توضح منهج المسلم فى حياته كان الشافعى رحمه الله يقول: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم» .

---

(١) رواه الطبرانى .

والعصر: يقسم الله تبارك وتعالى بالزمان، والله يقسم بنفسه أو بما شاء من مخلوقاته ليلفت نظرنا إليها، وليبين لنا عظيم شأنها، أما نحن فلا نقسم إلا بالله أو بصفة من صفاته.. يقول رسول الله ﷺ: «من كان منكم حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»[1].

يقسم الله تعالى على هذا المنهج الذى وضعه لعباده فى جميع الأزمان والعصور قديمها وحديثها..

هذا المنهج: أن الناس جميعا خاسرون إلا الذين آمنوا به وعملوا الأعمال الصالحة واوصى بعضهم بعضا بالتزام الحق والصبر على الطاعة والأذى والصبر على دفع شهوات النفس..

هذا هو المنهج، وهو كما ترى يتكون من أربع قواعد:

١ ـ **الإيمان**: والإيمان المنجى هو الإيمان بالله وبكل صفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله جميعا لا نفرق بين أحد من رسله والإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

٢ ـ وهذا الإيمان لا يكمل إلا بعمل الصالحات، والصالحات كل أعمال الخير التى ينفع المؤمن بها نفسه وينفع بها أهله وينفع بها مجتمعه، وينفع بها الإنسانية جميعا، ليست الصالحات خاصة بأعمال معينة دون غيرها فالذى يزرع يريد وجه الله ثم خير الناس ـ يعمل الصالحات، والذى يدافع عن دينه ابتغاء وجه الله يعمل الصالحات، والذى يقيم المصنع لخير أمته ـ يعمل الصالحات.

---

(١) رواه البخارى.

يقول صلوات الله وسلامه عليه :ـ

(ما من مسلم يغرس غرسا أويزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة) .

أ ـ فالأعمال الصالحة هى الثمرة الأولى للإيمان .

ب ـ وليس هناك عمل صالح بغير الإيمان ، فكل عمل مهما بدأ صالحا لم يسبقه الإيمان لا قيمة له :

﴿والـذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾[1] .

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾[2] .

ج ـ والأعمال الصالحات تشمل أعمال الحياة جميعا التى يحتاج إليها المسلمون فى رفع شأنهم وصلاح دينهم ودنياهم .

٣ ـ التواصى بالحق : والتواصى : التناصح ، هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو الهداية والإرشاد ، وهو دفع الفساد ، وجلب الخير للأمة المسلمة وليس فى منهج الإسلام ناس يقومون بالنصح والإرشاد دون غيرهم ، فالمسلمون جميعا مسئولون أمام الله عن دينهم ودنياهم ومأمورون من الله بقول الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[3] .

---

(١) سورة النور / ٣٩.

(٢) سورة الفرقان / ٢٣ .

(٣) سورة آل عمران / ١٠٤ .

﴿والمؤمنــون والمؤمنــات بعضهم أوليــاء بعض يأمـرون بالمعـروف وينهـون عن المنكـر ويقيمـون الصـلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله﴾[1].

والحق الـذى ندعـو إليـه ونتواصى به هو كل ما أمر الله به أو نهى عنـه وهـو كل طاعة وكل ما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم . . . إنه صلاح هذه الأمة وخيرها.

٤ ـ **والتواصى بالصبر** : هو لازم من ألزم حاجات العمل فى سبيل الله، ومن ألزم حاجات الفوز والنجاح فى كل عمل . .

فالعـاملون يلاقـون من الأعـداء المقـاومـة والمعـانـدة ولولم يصبروا على ما يلاقون لفشلوا.

والعـاملون المؤمنون يلاقون من دنياهم الشهوات واللذات والمغريات ولو لم يصبروا لفشلوا.

والعـاملون المؤمنـون تصيبهم الكوارث والمحن، وتنزل بهم المصائب، ولو لم يصبروا لهلكوا وفشلوا.

لذلـك كان مجتمـع المؤمنين يتواصى بالالتزام بالصبر حتى يأتى النصر:

﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾[2].

تدريبـــــــات

١ ـ ما المنهـاج الـذى حدده الله تبـارك وتعالى لعباده وأقسم عليه فى هذه السورة؟ .

---

(١) سورة التوبة / ٧١.

(٢) سورة الشورى / ٤٣.

٢ - يقسم الله تبارك وتعالى بمخلوقاته فلماذا؟ وهل يجوز أن نقسم نحن بها ؟.

وضح رأيك . . . .

٣ - وضح حكم :

١ - من أقسم بأبيه : . . .

٢ - من أقسم بشيخه : . . . .

٣ - من أقسم بغير رجل صالح : . .

٤ - من أقسم بقدرة الله وعزته : .

٤ - يقوم منهاج المسلم فى حياته على قواعد أربع هى :

١ -　　　　　　٢ -

٣ -　　　　　　٤ -

٥ - تقول بعض الأديان أن أمر الدين له رجال مخصوصون، فماذا يقول الاسلام ؟.

٦ - العمل الصالح فى نظر المؤمن هو الذى :-

١ - . . . .

٢ - . . . .

٣ - . . . .

٧ - الذين يعملون أعمالا طيبة لا تقبل منهم إذا لم يسبقها .

٨ - يقول رسول الله ﷺ : من رأى منكم منكرا فليغيره : اذكر الآية التى تتفق مع هذا الحديث.

سُورَةُ الماعُون

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾

سورة الماعون

تعاون المجتمع الاسلامى

اللغة :

الدين : الجزاء والحساب.
يدع : يدفع ويؤذى ويهين.
لا يحض : لا يحث ولا يدعو بقوة.
فويل : هلاك.
ساهون : غافلون.
يراؤن : يعملون بغير إخلاص ليرضوا الناس.
الماعون : الأدوات التى نستعين بها فى حياتنا كالقلم والكتاب والفأس والسيارة.

الشرح :

هذه السورة توضح حقيقتين من منهج هذا الدين تميز بهما ، وتميز المؤمنون به بالسير على هداهما:

الأولى : أن حقيقة الإيمان لا تظهر قيمتها ولا يبدو أثرها إلا بالأعمال الصالحة والذى يدعى الإيمان ولا يعمل عملا صالحا، أو يباشر الأعمال الفاسدة لا قيمة لايمانه ولا تقبل دعواه.

«فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل».

(والإسلام دين عقيدة وعمل).

فالذى يهين اليتيم ولا يحسن إليه ولا يأخذ بيده مكذب بيوم القيامة يوم الجزاء ويوم الحساب .

والذى لا يساعد المساكين ويدعو إلى معونتهم ، ورفع ضيق الحياة عنهم مكذب بيوم الدين يوم الجزاء ويوم الحساب .

هكـذا يربـط الإسـلام بين حقيقة العقيدة المستقرة فى قلب المؤمن وبـين العمل فى الحياة ، فمن صدقت عقيدته استقام عمله فى الحياة .

﴿أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ .

إذ لو كان مؤمنـا حقـا بيوم الجزاء ويوم الحساب لسارع إلى إكرام اليتيم ومساعدة المسكين .

والقـرآن يسوق هذا المعنى الرائع فى صورة سؤال عجيب : **﴿أرأيت الذى يكذب بالدين﴾**؟ ، وهو يخاطب كل عاقل : أرأيت؟ .

والنـاس يتـوقعـون أن يكون الجواب : هو الكافر الذى ينكر البعث ، ولكن القـرآن الكـريم يأتى بالجواب الذى يدل على ربط العمـل بصلب العقيـدة ، وهو **فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين** .

والثانية : أن العمـل الصـالـح لا قيمـة له ما لم يرتبـط بنيـة خالصة وعقيـدة سليمة وأن يكون ابتغاء وجه الله ، فالذى يصلى ولا يريـد وجـه الله وإنـما يريـد الـريـاء والسمعـة لا قيمة لصلاته بل صلاته طريقه إلى النار.

والذى لا يأتى بالصلاة كما أمر الله بها لا قيمة لصلاته، بل هى طريقه إلى النار.

والذى لا يتقدم بعمل الخير يدفع به حاجة المحتاجين وينفعهم به إنما يسير فى طريق الهلاك..

﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾.

والسورة تسوق هؤلاء فى صورة الهالكين الضائعين فى نار جهنم:

(فويل) أى هلاك ودمار فى النار، وتقدم صورتين للمصلين الضائعين:

١ - صورة المصلى الذى يغفل عن صلاته حتى يخرج الوقت فلا يؤديها كما أمر الله.

٢ - والمصلى الذى يؤدى صلاته لأجل أن يراه الناس ويعجبون به ولا يؤديها ابتغاء وجه الله وهو المرائى المنافق.

وهذا الذى يفعل ذلك ليس لديه ايمان سليم فى قلبه، ولذلك ساء عمله، وساءت علاقته بإخوانه ومجتمعه، فلا يتقدم لهم بمساعدة، ولا يؤدى لهم معونة **﴿الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾**..

تدريبات

١ ـ الذى يكذب بالدين هو الذى ينكر القيامة والبعث، والذى يكذب بالدين هنا هو الذى . . .

٢ ـ ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم، ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ استخرج من هذه السورة الآيات التى فيها مثل هذا المعنى .

٣ ـ يربط الإسلام بين العقيدة و . . . .
فالمسلم الذى سلمت عقيدته يسلم . . . . . .
والمسلم الذى .... عقيدته فسد . . . . .

٤ ـ إن الله لا يقبل من العمل إلا العمل . . . .

٥ ـ لا يقبل عمل الخير إلا إذا سبقته . . . . . .

٦ ـ المجتمع الإسلامى مجتمع يقوم على . . . .
بالله ، وهذا الإيمان هو الذى يدفع المسلم إلى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

ســورة الحجــرات

الأخـلاق الإسـلامية

كما يتصل كل عمل يأتى به المسلم بعقيدته، تتصل أخلاق المسلم أيضاً بإيمانه وعقيدته، فالمؤمن يعمل الخير لأن الله دعاه إليه والله يحبه ، ويمتنع عن الشر لأن الله نهى عنه والله يكرهه، ولذلك:

صدر القرآن الكريم دعوته إلى الخير والخلق الطيب بهذا النداء:

﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ .

لأن الإيمان وحده هو الذى يدفعنا إلى الطاعة والعمل، والذى لا إيمان عنده لا خير فيه . .

﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾ .

السخرية والاحتقار ـ والقوم هنا هم الرجال . .

لايجوز للمؤمن أن يحتقر أخاه أو يهزأ به . .

أولا : لأن المؤمن كريم على الله ، وقد صانه الله وحرم عرضه على الناس . .

يقول صلوات الله عليه :

«كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»[1] .

---

(١) رواه الترمذى ومسلم .

ثانيا : لأن الاحتقار خلق سيء، والمؤمن حسن الخلق . . يقول الرسول الكريم ﷺ : «البر حسن الخلق»(١).

ثالثا : لأن هذا الذى تحتقره قد يكون أفضل عند الله منك .

«إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم»(٢).

ولا تلمزوا أنفسكم : **اللمز** : العيب باللسان والطعن فى أعراض الناس . . واللمازون توعدهم الله بالعذاب الشديد . .

﴿ويل لكل هُمَزَة لُمَزة﴾(٣).

فكأنما لمز نفسه ، ولذلك قال الله تعالى :

﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ . . ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ .

أى لا يناد بعضكم بعضا بالألقاب القبيحة والكلمات البذيئة .

«فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره» . .

«وحسب أمرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»(٤) . .

﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ : بئس : قبح - الفسوق : المعصية قبيح بكم أن تسموا عصاة فساقا بعد أن أصبحتم مؤمنين ، فان حقيقة الإيمان تمنع من المعصية ، فإن كنتم مؤمنين حقا فلا يحدث منكم هذه الأمور القبيحة .

﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ : والله قد فتح لكم باب التوبة من الذنوب ، فمن وقع منه شيء من ذلك فليسارع إلى

---

(١) رواه مسلم والترمذى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الهمزة / ١ .

(٤) رواه الترمذى .

التـوبـة والاستغفـار، فالتائب حبيب الرحمن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن لم يفعـل ذلـك فقـد ظلم نفسه لأنه عرضها لغضب الله وعقوبته.

﴿يـاأيهـا الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾: اجتنبوا: ابتعدوا - اثم: ذنب: وينادى الله عباده المؤمنين أن يحسنـوا الظن بالمؤمنـين، فان سوء الظن فى المؤمن بغـير بينـة ذنب، أما سوء الظن بالأعداء والفساق فلا ذنب فيه، والمراد بسوء الظن هنا التهمة بغير دليل، فأمر المؤمن يحمل دائما على الخير.

يقول عمر رضى الله عنه:

«لا تظن بكلمة خرجت من أخيك إلا خيرا وأنت تجد لها فى الخير محملا».

ويقول صلوات الله وسلامه عليه:

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[1].

﴿ولا تجسسوا﴾: التجسس هو البحث عن عيوب الناس خفية..

فلا يجوز للمسلم أن يبحث عن عورات الناس وعيوبهم لأن ذلـك اعتـداء على كرامـة المسلم، والله قد جعل كل المسلم على المسلم حرام دمـه وعـرضه إلا بالحق، بل لقد جعل الإسلام كرامة المسلم وحـرمتـه أعظم من كرامـة الكعبة وحرمتها، يقول صلوات الله عليه وهو يطوف بالكعبة:-

«مـا أطيبـك وأطيب ريحـك، ما أعظمكِ وأعظم حرمتكِ،

---

(١) رواه البخارى.

والـذى نفسى بيـده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ـ ماله ودمه ـ وأن يظن به إلا خيرا»[1].

ويقول صلوات الله عليه :ـ

«إنـه من يتبـع عورة أخيـه يتبـع الله عورتـه، ومن يتبـع الله عورته يفضحه فى جوف بيته»[2].

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ : ينهانا الله تعالى عن الغيبة، وهى أن نتحـدث عن المسلمـين بما يكرهون، فالمسلم يحافظ على أخيه ولا يتكلم عنه إلا بما يرضيه.

فالمسلم من سلم المسلمـون من لسـانـه ويـده . . كما يحدثنا رسول الله صلوات الله عليه.

ومهـما كان الحـديث عن المسلم بما يكره شيئا يسيرا فهو محرم لا ينبغى أن يقـع منـا، تقـول عائشـة رضى الله عنها : قلت للنبى ﷺ : حسبـك من صفيـة كذا وكـذا تعنى أنهـا قصـيرة . . فقـال صلوات الله عليه :

«لقـد قلت كلمـة لو مزجت بماء البحـر لمزجته»[3] . . أى لو خلطت بماء البحر لغيرت لونه من سوئها.

فلا يصح لنا أن نتحدث عن المسلمين إلا بما يحبون، ولكن عنـد الشهـادة أو المصلحة الظاهرة فيجوز أن نتحدث بما نعلم وإن كان مما يكرهه المسلم.

فقد قال رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس وهى تستشيره فى رجلين خطباها فقال لها :ـ

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أبو داود.

«أما معاوية فصعلوك، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»[1].

﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾: ولاشك أنها صورة لا يرضاها أحد وكلنا نكرهها، ولذلك قال تعالى ﴿فكرهتموه﴾ فاذا كنتم تكرهون هذه الصورة فلا شك أنكم تكرهون الغيبة لأنها مثلها.

ثم ختم الله ذلك كله بقوله:

﴿واتقوا الله، ان الله تواب رحيم﴾.. أى احذروا عقاب الله على هذه الذنوب فامتنعوا عنها، وان تبتم وتركتموها فالله يقبل التوبة عن عباده، ويعجل لهم من رحمته وفضله..

﴿يا أيها الناس﴾: ينادى الله الناس جميعا لا فرق بين مسلم وكافر أو ذكر وأنثى لأن ما جاء فى هذه الآية يتفق فيه الناس جميعا..

﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾.. جعلناكم من أب واحد هوآدم وأم واحدة هى حواء، كل الناس ينتسبون إليهما، العرب والترك والألمان والهنود والهاوسا والماندنك كلهم أبوهم آدم وأمهم حواء، فلا معنى لأن يفخر أحد على أحد أوشعب على شعب، يقول رسول الله ﷺ وهو يخطب أصحابه فى حجة الوداع:

«أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على اسود

---

(١) ذكره ابن كثير.

ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ان اكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت»(1).

فالله خلقنا من ذكر وأنثى لا لنختلف أو يقتل بعضنا بعضا، ولا لنتفرق فى الأرض ونصبح أمما تستعبد أمما، وأجناسا تتعالى على أجناس، وإنما لنتعاون ونتعارف ويأخذ بعضنا بيد بعض فليس للألوان ولا للأوطان ولا للأجناس ميزان عند الله، إن الميزان الذى يحدد منزلة كل واحد هو التقوى.

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾: القيمة الحقيقية للإنسان هى تقواه لربه، وهذه التقوى لا يعلمها إلا الله، فمكان التقوى القلوب، والله وحده هو الذى يعلم أسرار القلوب يقول رسول الله ﷺ:

«التقوى ها هنا، وأشار إلى صدره ثلاثا»(2).

وعلى ذلك فإن مراتب الناس التى بها يتفاضلون إنما هى عند الله وحده، أما فى دنيانا فالناس سواء..

«الناس بنو آدم وآدم من تراب»(3).

والذين يحاولون أن يقسموا البشرية إلى أجناس بعضها فوق بعض هؤلاء عنصريون بعيدون عن منهج الله فى دينه، وهؤلاء يخاطبهم رسول الله ﷺ بقوله:

«ليَنتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحمٌ من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»(4)..

---

(1) رواه البيهقى.
(2) رواه مسلم
(3) رواه أبو داود والترمذى.
(4) رواه أبو داود والترمذى.

﴿**إن الله عليم بصير**﴾: عليم بهؤلاء الذين يفرقون بين عباد الله فيرفعون هذا ويخفضون هذا، عليم بكل أحوالكم خبير بما يصلح لكم فيشرعه لخيركم، وخبير بكل أموركم.

تدريبـــــات

١ ـ عن أى شىء نهى الله فى الآية الأولى ؟.

٢ ـ فى الآية الثانية أمر واحد ونهيان . . اذكر كلا منهما.

٣ ـ التجسس حرمه الله ، ولكن أحيانا يكون حلالا . .
مَثِّلْ التجسس الحلال والتجسس الحرام.

٤ ـ اذكر العيوب الخلقية التى حرمها الله علينا فى الآيتين الأولين:

١ ـ	٢ ـ
٣ ـ	٤ ـ
٥ ـ	٦ ـ

٥ ـ بعض الظن إثم وبعض الظن ليس بإثم . . اشرح هذه العبارة.

٦ ـ اذكر أمثلة للغيبة.

٧ ـ رسمت الآية صورة قبيحة للذى يغتاب المسلم ، اذكر هذه الصورة.

٨ ـ قد يذكر المسلم عيوب أخيه فى غيبته ، ولا يكون مغتابا . . اذكر مثالا.

٩ ـ كل الناس أبوهم . وأمهم. ولذلك فهم
ويتفاضلون عند الله بـ .



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾

نزول القرآن

سـورة القـدر

هذه السورة الكريمة سورة مكية، نزلت تبشر الدنيا بأمرين فيهما سعادة البشرية :

الأول : أن هذا القرآن بدأ نزوله فى ليلة القدر، والقرآن الكريم انما نزل هداية للعالمين . .

﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾(١) .

وتعلن السورة - وهى تسوق هذه البشري - أن هذا القرآن نزل فى ليلة عظيمة القدر، ليلة مباركة . . **﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة، إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم، أمرًا من عندنا إنا كنا مرسلين﴾**(٢) .

والقرآن نزل فى خير شهور السنة، نزل فى رمضان المبارك . .

﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾(٣) . .

وهذا إشارة واضحة الى فضل القرآن وعظمته وأنه نزل لسعادة الأمم وهدايتها : . .

﴿كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾(٤) . .

---

(١) الاسراء / ٩.
(٢) الدخان ٢ - ٤ .
(٣) البقرة / ١٨٥ .
(٤) ابراهيم ٢ .

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾[1] . .

وقد استمر القرآن ينزل بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة .

والأمر الثانى : إن هذه الليلة التى نزل فيها القرآن تفضل الله بها على هذه الامة فجعلها خيرا من ألف شهر، لما فيها من الثواب العظيم، والاجر الكريم للمؤمنين الصالحين، فالله تبارك وتعالى يقول :

﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ .

أى ليلة الشرف العظيم لهذه الأمة لنزول القرآن الكريم فيها، وهو الذى يرفع قدرها ويعلى شأنها إذا تمسكت به، وسارت على شريعته . .

ثم بين الله تعالى عظيم قدر تلك الليلة بهذا الاستفهام . .

﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ أى أن عظمة هذه الليلة شىء يخرج عن علم الناس، ثم بين قدرها بقوله تعالى **﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾** . .

أى أن فضل هذه الليلة وثوابها عند الله خير من عبادة شهر ليس فيها ليلة القدر.

وإذا كان القرآن نزل فى ليلة القدر ونزل فى رمضان فليلة القدر إذن فى شهر رمضان، وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله :

---

(١) المائدة / ٤٥ - ٤٦ .

«التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان»[1].

ثم بين لنا الله تبارك وتعالى ما فيها من الخير بقوله:

﴿تنزل الملائكة والروح﴾ (أى جبريل) فيها.. أى فى ليلة القدر.. ﴿بإذن ربهم..﴾ أى بأمره وإرادته ﴿من كل أمر﴾ أى من أجل كل أمر قضاه الله لعباده.

أى أن الملائكة يكثر نزولها فى هذه الليلة العظيم بركتها وينزل معهم جبريل، يطوفون بالمؤمنين العابدين، فيلتمسون مجالس الخير ليحفوا بهم تكريما لهم وتعظيما لشأنهم.

﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾: أى ما فيها الا الخير والسلام والأمان للمؤمنين فلن ينالهم فى تلك الليلة الا الخير، ولا يأتيهم من قبل الله إلا السلام، وكذلك الملائكة تنشر السلام فى الأرض حتى مطلع الفجر.

يقول صلوات الله عليه:

«من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

---

(1) رواه البخارى.

(2) متفق عليه.

تدريبـــــــات

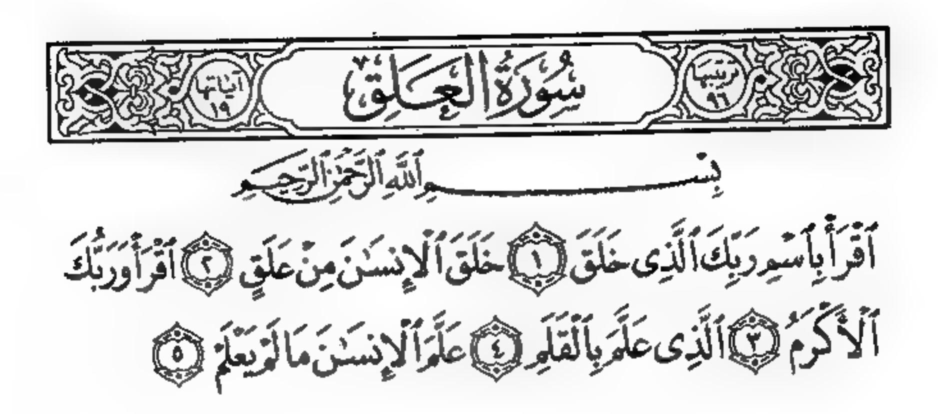
١ ـ بدأ نزول الـقــرآن فى شهــر . ولكنــه استمــر ينزل عاما منها ثلاثة عشرة سنة فى وعشر سنين فى

٢ ـ ضع الكلمات المناسبة مكان النقط من الجملة الآتية :

ـ خير ليالى السنة ليلة . وخير أيام الأسبوع يوم .... وخير شهور السنة شهر .. .

٣ ـ أكمل الجمل الآتية :

ـ ليلة القـدر خير من . وفيهـا تنـزل الملائكة مع .. .. ينـتـشـرون .... حتـى مطلع .... وهى فى شهـر .... وفى الليالى العشر .. . .منه .



سُورَةُ العَلَق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

«ســـورة العلـــق»

«أول ما نزل من الوحـى»

هذه الآيات الخمس الكريمة هى الآيات الأولى من سورة العلق، وهى أول ما استقبلتـه الأرض من وحى السـماء فى رسـالـة خاتم المـرسلين محمـد صلوات الله وسـلامـه عليه وهى أكبر شاهد على صدق دعوته وأنه مرسل من ربه.

١ ـ فهـو صلوات الله عليـه كان لا يدرى شيئـا عن الـوحى وعن القرآن وعن النبوة.

﴿وكـذلـك أوحينـا إليـك روحًا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان﴾[١].

٢ ـ وهو صلوات الله عليه لم يكن يقرأ كتابا ولا يخط حروفا..

﴿ومـا كنت تتلو من قبله من كتـاب ولا تخطه بيمينك، إذن لارتاب المبطلون﴾[٢].

٣ ـ وهو صلوات الله عليه لم يكن يتوقع نزول الوحى وهو فى غار حراء، ولـذلـك فوجىء به فارتعد جسمه، وشعر بالاضطراب والخوف حتى ذهب إلى أهله يقول:

«زملـونى ... زملـونى»[٣]

---

(١) سورة الشورى / ٥٢.
(٢) سورة العنكبوت / ٤٨.
(٣) رواه البخارى.

ولقد حفظ لنا التاريخ خير وثيقة تشرح لنا الصورة التى التقى فيها الرسول الكريم بالوحى ، وتبين لنا حال الرسول صلوات الله عليه عند هذا اللقاء . . تروى عائشة رضى الله عنها : «وكان يخلو فى غار حراء يتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتردد إلى ذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال اقرأ . قال : ما أنا بقارىء ، فقال فأخذنى فغطنى (أى ضمنى بشدة) حتى بلغ منى الجهد (أى التعب) ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ : فقلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ثم قال ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ .

فرجع بها رسول الله ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة ، فقال زملونى زملونى[1] (أى ألقوا على الغطاء) لأنه كان يرتعد من المفاجأة . .

فأنت ترى فى هذه الوثيقة النادرة كيف استقبل رسول الله الوحى ، وكيف كانت مفاجأته ، وكيف كان قبلها مثل سائر الناس لا يدرى من أمر الوحى شيئاً .

هذه الآيات الكريمة إذن هى أول أضواء القرآن ، وهى أول فيض أنوار هذا الدين ، وهى كذلك مشرق النور الهادى على

---

(١) رواه الامام أحمد وروى كذلك فى الصحيحين .

هذا الكـون ليحي بكلمـة الله ، ويهتـدى بنور الله ، ويسعد برسالة محمد ﷺ . .

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [1] . .

ومن العجب أن تكـون أول كلمـة هادية من عند الله تبارك وتعـالى لعباده هى : **اقرأ** . . فى أول سورة استقبلتها الأرض ، وأن يكون القلم هوعنوان السورة الثانية ، وكل ذلك دليل على أن هذا الـدين جاء يعلم الإنسـانيـة ، ويـرفـع شأنهـا بالعلم ، ويقودها فى طريق الحضارة الصحيحة ، القائمة على هدى الله وشريعته .

فالقلم والقراءة والحضارة التى ترفع شأن البشرية هى التى تكون :

﴿**باسم ربك الذى خلق**﴾

بل إن كل شىء فى حيـاة الإنسـان ينبغى أن يرتبـط ﴿**باسم الله الرحمن الرحيم**﴾ من أكله وشربه الى دأبه وسعيه إلى نومه ويقظته .

﴿**قـل إن صلاتى ونسكى ومحيـاى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له**﴾[2] .

وكما كانت هذه الآيات أول ما نزل فإنها تحدث الإنسان عن أول وجوده وهو الخلق ، وتجعل هذا الخلق دليل قدرة الله ومظهر نعمته . .

﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق**﴾ .

اقـرأ باسم ربـك الـذى خلق كل شىء ، وليس هناك خالق

---

(١) سورة الأنبياء / ١٠٧ .
(٢) سورة الأنعام / ١٦٢ .

غيره، خلق السموات والأرض وما فيهن، ومن خلقه هذا الإنسان الذى خلقه من تلك النطفة التى تحولت إلى علقة تعلق بالرحم ثم تتحول إلى أشكال أخرى بقدرته، خلق هذا الإنسان المهين بلسانه، المنطلق بحركته فى الكون، خلقه من شىء صغير يسير ثم اذا به بنيان كبير..

﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾(1).

هذا دليل رائع على قدرة الله وفضله، فمن قدرته أنه خلق من هذا العلق الصغير اليسير هذا المخلوق الكبير، ومن فضله وكرمه ونعمته، أنه حول هذا الماء المهين إلى إنسان يعقل ويفهم ويعلم، بل يستطيع أن يعلم غيره، وينشر فى الأرض الخير والهداية إذا سار فى طريق الله وهدى رسالته، فهذا مظهر كرم الله على الإنسان الذى كرمه ربه بالعقل والفهم..

﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾(2).

ثم يظهر كرمه تعالى وفضله على الإنسان، أنه علمه وأودع فيه أسراره..

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾(3)..

وعلمه بالقلم، ذلك القلم الذى يفتح لنا أبواب المعرفة، ويفتح لنا طريق الرقى والحضارة، ويفتح لنا سبيل العلوم كلها، فهو منشأ التحول من الجهل إلى العلم، فانظر كيف يبدأ هذا

---

(1) سورة النحل / ٤.
(2) سورة الاسراء / ٧٠.
(3) سورة البقرة / ٣١

الـدين صلتـه بالأرض، إنهـا بداية رائعة، بداية تلفت نظر الناس إلى أن خيرهم فى العلم.

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[1].

﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[2].

وهذا العلم الهادى المشرق الذى يسعد الإنسانية إنما هو من عنـد الله، يلهمـه لعبـاده المؤمنـين ويرشد إليه السالكين فى طريق الخير والحق..

﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

تدريبـــــــات

١ ـ كيف كان نزول الــوحى كما فهمت من حديث عائشـة (رضى الله عنها)؟.

٢ ـ ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة وعلامة (×) أمام الإجابة الخطأ:

ـ بدأ نزول الوحى ورسول الله فى الطائف.
ـ بدأ نزول الوحى ورسول الله فى المدينة.
ـ بدأ نزول الوحى ورسول الله فى مكة.

---

(١) سورة المجادلة / ١١.
(٢) سورة الزمر / ٩.

- كان نزول الـوحى لأول مرة فى منـزل خديجة رضى الله عنها .
- كان نزول الوحى لأول مرة عند الكعبة .
- كان نزول الوحى لأول مرة فى غار حراء .

٣ ـ أكمل العبارات الآتية :

عنـدمـا قال جبريل لرسول الله ﷺ اقرأ . قال رسول الله .... وفى المـرة الثـالثـة قال جبريل اقرأ ....

٤ ـ ضع الجمل الآتية فى مكان النقط :

- كرم الله الإنسان - لم يكن يعرف القراءة .
- دين حضارة ومدنية .

قال رسـول الله لجبريـل ما أنـا بقـارىء ، فدل ذلك على أن رسول الله ....

- إن أول كلمة نزلت من القرآن هى اقرأ ، وهذا دليل على أن الإسلام ....
- .... فعلمه ما لم يعلم .

۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

آيـــات الجهـــاد

ســـورة النســـاء

إن هذا الـدين كلمـة الله إلى عبـاده جميعـا، ورسـالته إلى الخلق كافة:

﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾[1].

وهـو دين عزة وكـرامـة، فالمؤمن لا يقبـل الذلة إلا لله، ولا يرضى بالخضوع والعبودية إلا لله:

﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[2].

ولذلك شرع الله الجهاد لهذه الأمة، وجعله فريضة من فرائضه:

«الجهاد سنة ماضية إلى يوم القيامة».

بل جعله من أفضل الأعمال عند الله، يقول أبو ذر: قلت يا رسـول الله: أى العمـل أفضـل؟ قال: «الإيـمان بالله والجهـاد فى سبيل الله»[3]. . .

وقد أمر الله به عباده قائلا:

﴿فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾.

---

(١) الفرقان / ١.
(٢) المنافقون / ٨.
(٣) متفق عليه.

يشرون: يبيعون. . أى فليقاتل فى سبيل رفع كلمة الله وإعلاء شأن دينه المؤمنون الذين باعوا دنياهم ليطلبوا الآخرة، فالآخرة عندهم خير وأبقى . .

﴿ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾.

يغلب: ينتصر **نؤتيه**: نعطيه.

- **أجرا عظيما**: ثوابا عظيما وهو الجنة فى الآخرة والعزة والكرامة والنصر فى الدنيا.

«ومن يقاتل أعداء الله وغايته رفع شأن المسلمين وإعلاء دينهم ابتغاء مرضاة الله فإن الله تكفل له إن قتل أن يكون شهيدا له أجر الشهداء، وإن انتصر فله الكرامة فى الدنيا والآخرة».

وقد جعل الله تعالى نهاية جهاد المؤمنين واحدة من اثنتين: إما أن ينتصر، وإما أن يستشهد (فيقتل أو يغلب) فالهزيمة والفرار من الجهاد ليس من طبيعة المؤمن الذى يسعى فى جهاده طالبا إحدى الحسنيين:

النصر أو الشهادة.

﴿وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾.

- المستضعفون: العجزة والضعفاء كالشيوخ والنساء والمرضى والأطفال.

- القرية الظالم أهلها: المجتمع الذى يعمه الظلم والإرهاب والكفر.

- وليا: معينا ومساعدا.

فى هذه الآية يحدثنا القرآن الكريم عن غاية نبيلة من غايات الجهاد..

فالجهاد هنا الجهاد فى سبيل إنقاذ الضعفاء الذين يسيطر عليهم الظالمون ويقسو عليهم الطغاة، فالله يشرع لنا أن نجاهد لإنقاذهم ورفع الظلم عنهم..

وكل اعتداء من الظالمين على كرامة المسلمين وأموالهم وأعراضهم فهو ظلم يشرع الله لنا فيه الجهاد لندفعه، ونسترد الحق..

يقول صلوات الله عليه وسلامه:

«من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[1]..

﴿الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾.

الطاغوت: كل ما يعبد ويقصد من دون الله، فالشيطان طاغوت، وشهوات النفس طاغوت والأصنام طاغوت..

كيد الشيطان: قوته ومكره.

وقد وضحت الآية حال المستضعفين، فذكرت أنهم يعيشون فى مجتمع ظلم وقسوة، يتمنون أن يخرجوا منه، وإنهم يدعون ربهم أن يجعل لهم ناصرا ينصرهم، أو قائدا يقودهم إلى

(١) رواه الترمذى.

النصر، وهذا إشارة ربانية إلى أن الجهاد يحتاج إلى تنظيم وإلى قيادة وإلى إعداد . .

هذا فيصل ما بين طريقين، طريق المؤمنين فى جهادهم وطريق الظالمين والكافرين فى قتالهم .

المؤمنون يقاتلون فى سبيل الله ، وسبيل الله هو طريق الخير، طريق الحق، طريق العدل، طريق الهداية والرشاد، وكل ما هو حق فهو سبيل الله . .

الجهاد فى سبيل الله رفع كلمة الدين سبيل الله .

الجهاد فى سبيل رد عدوان الظالمين سبيل الله .

الجهاد لحماية أعراض المسلمين سبيل الله .

الجهاد لحماية أوطان المسلمين سبيل الله .

الجهاد لاسترجاع بلاد المسلمين سبيل الله .

الجهاد لإنقاذ الضعفاء والمظلومين سبيل الله .

أما الذين يقاتلون لرفع شأن دنياهم، أو رفع شأن قومياتهم، أو لاستغلال أرض غيرهم أو لاستعباد الشعوب والأمم، فهؤلاء يقاتلون فى سبيل الشيطان . .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله . . الرجل يقاتل للمغنم . . والرجل يقاتل ليذكر . . والرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية . . فمن فى سبيل الله ؟ .

فقال رسول الله ﷺ :

«من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»[1] .

---

(1) متفق عليه .

وقد طلب الله من المؤمنين أن يجاهدوا هؤلاء الذين يقاتلون فى سبيل أعراض الدنيا الرخيصة، وأكد لهم أن هؤلاء مهما اجتمعت قوتهم فإن ذلك لن ينفعهم أمام جهاد جنود الله، لأن هؤلاء ينتصرون بالشيطان، ومكر الشيطان ضعيف أمام كيد الله وحوله وقوته.

تدريبـــــــات

١ ـ لماذا يقاتل المسلم ؟.

٢ ـ نهاية جهاد المسلم . . . .

اختر الإجابة الصحيحة من العبارات الآتية:

- النصر أو الشهادة. - الغنيمة أو الفرار.
- احتلال الأرض واستعباد العدو.
- رفع شأن وطنه واستغلال أعدائه.

٣ ـ **﴿والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ . .**

طلب المستضعفون ثلاثة أشياء هى :ـ

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

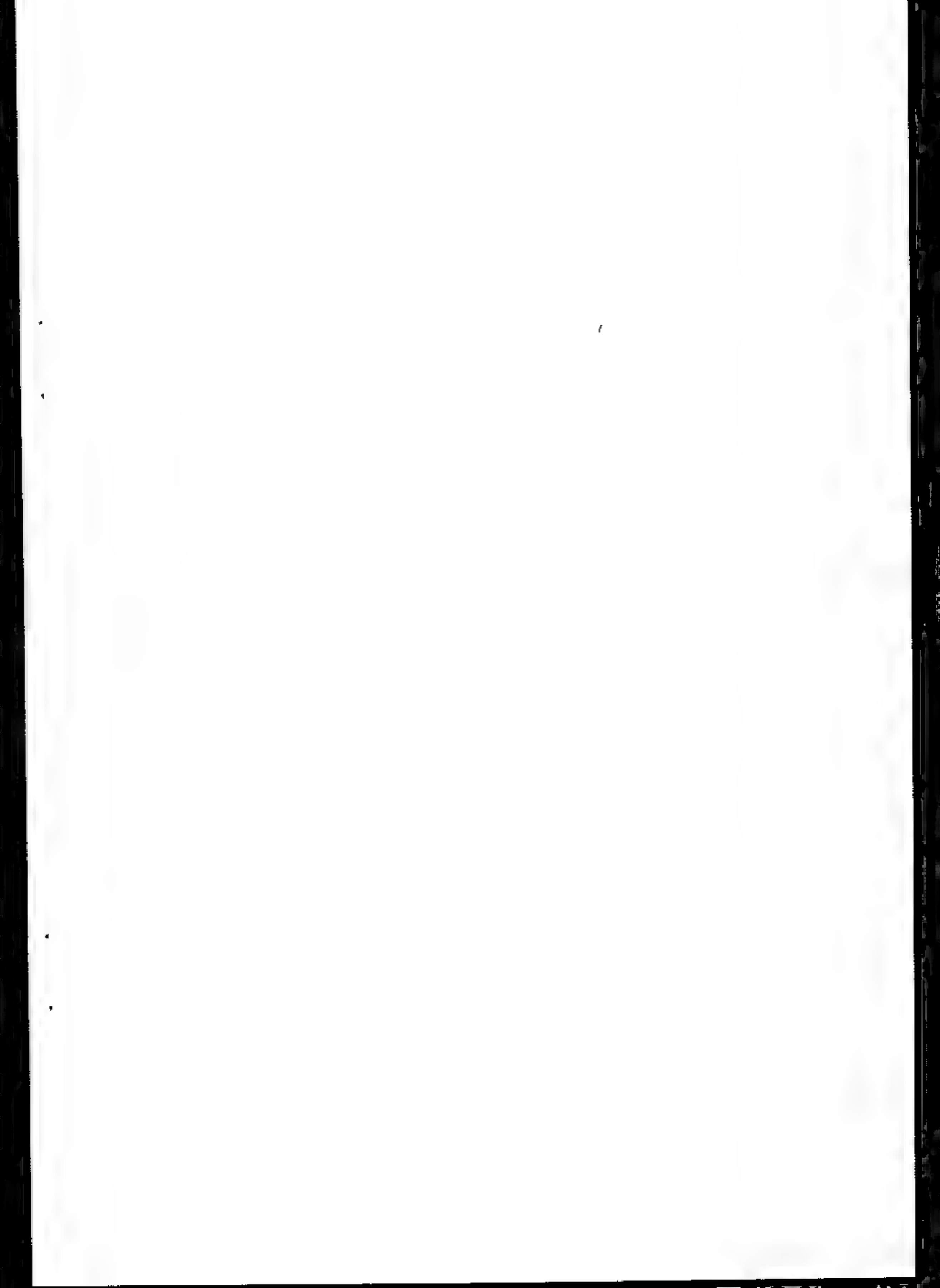
٤ ـ هناك فرق واضح بين جهاد الذين آمنوا وجهاد الذين كفروا، ما هذا الفرق ؟

مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
مركز شئون الدعوة
الدورات التدريبية

تفسير القرآن الكريم

إعداد الأستاذ
أحمد الكردي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله. نستعينه ونستهديه ونثنى عليه الخير كله. ونشهد أن لا إلــه إلا الله وحـده لا شريـك له. ونصلى ونسلم على نبينـا محمـد صلوات الله عليـه وعلى آلـه وصحبه ومن دعا بدعوته وسار على طريقه إلى يوم الدين. وبعـد :

فهـذه شروح ميسـرة لبعض آى الذكر الحكيم. قصدت بها أن تكـون سهلة التنـاول لدى الأخـوة الدارسين للإسلام الناطقين باللغة العربية وراعيت فى شرحها :

١ ـ أن أبتعـد عن المصطلحات النحوية واللغوية والبلاغية ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

٢ ـ أن يكــون هذا الشـــرح مما يوافق الآيـات من القـرآن الكريم، ومن السنة المطهرة ومما يتبادر من الأداء اللغوى للكلمة والعبارة .

٣ ـ أن يكـون هذا الشـرح تعـريفـا بالإسـلام فى عمـومـه وشموله من خلال هذه الآيات الكريمة .

٤ ـ أن تكـون الآيـات المختارة شارحة للأهداف الأساسية للإسلام والتى تعالج مشكلات الحياة المعاصرة سواء فى العقيدة أو فى صلة الإســلام بغـيره من الأديـان. أوفى العبـادات أوفى بنـاء المجتمع ورعاية مصالحه أوفى نظام الأسرة وحقوق أعضائها. أوفى فريضـة الجهـاد وعـلاقة الأمة المسلمة بغيرها. أوفى منهاج الدعوة إلى الله بنشر هذا الدين والمحافظة عليه .

وقد حاولت أن أجعل من الآية الكريمة محورا لبيان موقف الإسلام من موضوعات الآيات التى تعرضت لها، دون أن أتوقف عند المعنى الحرفى للآية. إيمانا منى بأن المعنى القرآنى لا يكتمل بالنظرة الجزئية لآية ما. وانما يتم ذلك بالنظرة الشاملة. وذلك بالاستعانة بالآيات الأخرى. وبما يوافق هذا الموقف من الحديث الشريف. وبما التقت عليه الأمة من فقه الإسلام وروحه.

٥ - وقد حاولت أن أجعل سيرى مع الآيات المختارة منطقيا. بحيث أبدأ أول الأمر بالعقيدة التى عليها مدار الدين كله، فكان حديثى عن الوحدانية وصدق النبوة والمعجزة القرآنية. ثم انتقلت إلى انحصار التدين فى الإسلام وحده الذى هو وحى الله إلى كل رسله. ثم انتقلت إلى قيام الأمة الإسلامية على أساس هذا الدين الكريم موضحا أن بقاءها فى التزامها وفى وحدتها وفى دعوتها. ثم وضحت أن هذا الدين إنما يقوم على الإيمان بالله وبكل رسله دون تفرقة. فهذه الأديان التى تؤمن بالله وببعض الرسل لا تمثل الدين الصحيح.

وبعد أن تكاملت الصورة السليمة للعقيدة فى ذاتها ومقارنة بغيرها قدمت الآيات التى تعطى الشرح التطبيقى لهذا الدين الكريم فى «الدين الخالص» ثم فى «الوصايا العشر» الإسلامية.

ثم جاء دور السلوك المسلم وكيف يكون فقدمت «توجيهات ربانية» تعين مسار السلوك الإسلامى فى العبادة والحياة.

ثم قدمت الآيات القرآنية التى تحدثنا عن موقف الإسلام من بعض القضايا الهامة مثل الانفاق والمرأة والجهاد وغيرها . . .

والله الموفق

أحمد الكردى

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة إلى عبادة الله وحده

«سورة البقرة»

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

الشرح والتفسير :

يأيها الناس : نداء الهى عام يشمل البشرية جميعا، يستوى فيه العربى وغير العربى والمؤمن والكافر، فالجميع مطالبون بعبادة ربهم .

اعبدوا : العبادة، الخضوع والتذلل مع المحبة للمعبود، فالله يأمرنا بعبادته، وعبادته سبحانه هى توحيده وطاعته والتزام شرعه .

ربكم : مالككم وسيدكم والمدبر لأموركم والمتفضل بنعمه عليكم .

الذى خلقكم والذين من قبلكم :

أى اعبدوا الله ربكم الذى أوجدكم بقدرته، وتفضل عليكم بنعمه كما خلق آباءكم وأجدادكم بل خلق كل الموجودات التى كانت قبلكم، وهووحده الخالق لهذا العالم كله، فهو المستحق للعبادة دون غيره .

لعلكم تتقون : اعبدوا ربكم، بعبادتكم هذه تلزمون طاعته وتحفظون أنفسكم من عذابه، فالتقوى فى حقيقتها هى مخافة الله التى تجعل المؤمن يلتزم بأوامر ربه، ويبتعد عن معصيته .

﴿الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ :

فراشا : سهلة ممهدة كالفراش فى سهولة الانتفاع بها .

والمعنى : اعبدوا ربكم الذى خلقكم وأنعم عليكم، ويسر لكم الحياة فوق الأرض ـ بأن جعلها سهلة مبسوطة صالحة لنفعكم، بما أودع فيها من الخيرات، ويسر نزول المطر من السماء لتخرج به الأرض نباتها، وتخرج به الأشجار ثمارها، ولتجدوا من كل ذلك أرزاقكم، ولتستقيم به حياتكم .

﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[1].

﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ :

أنـدادا : آلهة تماثل الله فى الوهيته أو شركاء له فى خلقه .

والمعنى : ان الله وحده هو المستحق للعبادة وهو وحده الواحد الأحد لأنه الذى خلقكم وخلق كل شىء وهو الذى رزقكم وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، فلا يصح أن تعبدوا غيره، ولا يستقيم بعد كل هذا أن تجعلوا معه آلهة أخرى، وكيف يستقيم ذلك وقد علمتم أنه وحده خالقكم ورازقكم وهو معكم اينما كنتم، لذلك كان من أكبر الذنوب أن تجعل لله شريكا . . .

يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه : «قلت يارسول الله أى الذنب أعظم؟ . قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك»[2].

---

(١) سورة الروم / ٤٠ .
(٢) متفق عليه .

يقول رسول الله ﷺ : «يامعاذ أتدرى ما حق الله على عباده؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»(١).

صدق القرآن وصحة النبوة

﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ :

الريب : الشك ـ عبدنا : المراد محمد ﷺ .

شهداءكم : أعوانكم الذين يشهدون معكم .

تحدى القرآن :

بعد أن قررت الآيات السابقة أن الله وحده هو الواحد الأحد المعبود بحق والرازق الخالق الذى بيده ملكوت كل شىء ، شرعت هذه الآيات تثبت صحة النبوة باثبات صدق القرآن ، وأنه منزل من عند الله ، فخاطبت المعاندين :

إن كان عندكم شك فى صحة القرآن وصدقه وأنه من عند الله فأبذلوا كل طاقتكم واستعينوا بمن شئتم لتأتوا بمثل أقصر سورة منه ، فإذا عجزتم وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فقد ثبت حقا أن هذا القرآن ليس من عند محمد ﷺ فهو بشر مثلكم ، وانما هو تنزيل من حكيم حميد .

﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾(٢) .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٥ .

﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[1].

وقد سبق ذلك فى مكة أن تحداهم أولاً أن يأتوا بكتاب مثله. يقول الله تعالى :

﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه﴾[2].

فلم يأتوا بشىء، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثل سوره فقال :

﴿أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾[3].

فلم يستطيعوا أن يأتوا بشىء، فتحداهم فى مكة أن يأتوا بسورة مثل سوره فقال :

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله﴾[4].

ولكنهم أيضا لم يستطيعوا، فأعلن القرآن الكريم عجز الجن والانس - وإن تعاونا - أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، فقال :

﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[5].

ولما هاجر الرسول الكريم إلى المدينة كرر تحدى المعاندين هناك فجاءت هذه الآية تعيد التحدى لسابق عهده وتعلن ان من

---

(1) سورة هود / 1.
(2) سورة القصص / 49
(3) سورة هود / 13.
(4) سورة يونس / 38
(5) سورة الاسراء / 88

شك فى صدق القرآن الكريم فباب التحدى مفتوح، وعليه أن يأتى بمثل أقصر سورة فإن عجز الناس عن ذلك وجب أن يسلموا أن القرآن كتاب الله، وأن محمدا رسول الله .

والقرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، تبقى كذلك إلى يوم القيامة، والتحدى به قائم إلى يوم القيامة، ومهما تقدمت العلوم والفنون والآداب فالقرآن أعلى وأجل من كل ذلك، ومازال يثبت صدق نزول القرآن وصحة النبوة مهما تطاولت الأعوام وتوالت الأيام .

﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾[1] .

من خاصية القرآن :

وهذا أمر انفرد به الإسلام فى رسالة محمد ﷺ، فقد كان كل نبى له رسالة خاصة، فكانت معجزته خاصة، أما الإسلام الذى هو رسالة محمد عليه الصلاة والسلام فهو رسالة عامة خالدة فناسب ذلك أن تكون المعجزة عامة خالدة .

يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«ما من الأنبياء نبى إلا وقد أعطى ما من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[2] .

---

(١) سورة ص / ٢٩.

(٢) رواه مسلم.

﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ :

أعـدت : هيئت وجهـزت .

تهديـــــد ووعيـــــد :

المعنى : إن لم تستطيعوا أن تأتوا بمثله، والحق أنكم لن تستطيعوا لأنـه كلام الله وهيهـات أن يستطيـع البشر أن يأتوا بمثل كلام الله، فإذا كان كذلك فآمنوا به وصدقوا بنزوله حتى تستطيعـوا أن تنقـذوا أنفسكم من عذاب جهنم التى اعـدت للكـافـرين حيث توقـد نارهـا بهؤلاء العصـاة الكفرة، وبنوع من الحجارة شديد الالتهاب .

المناقشـــــة

(١) بماذا أمر الله عباده فى الآية الأولى؟

(٢) نحن نعبد الله لأنه :

- . . . . .
- . . . .
- . . . . . .
- . . . .

(٣) أكمل هذا الحديث :

«يارسول الله أى الذنب أعظم؟ .

(٤) من نعم الله علينا :

- .
- . .
- . . . . . .

(٥) تحدى القرآن الكريم العرب والناس جميعا على ثلاث مراحل :

- تحداهم فى المرة الأولى أن يأتوا .
- وفى الثانية أن يأتوا . . .
- وفى الثالثة أن يأتوا . .

(٦) عجز الناس أن يأتوا بمثل أقصر سورة من القرآن :

- فثبت أن .
- وثبت أن . . . .

(٧) القرآن الكريم معجزة خالدة لأن الإسلام دين

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

« إن الـدين عنـد الله الإسـلام »

إن الـدين الـذى ارتضـاه الله لعبـاده هو أن يسلموا له ، وأن يخضعوا له ، وأن ينقادوا لشرائعه وأوامره .

﴿ومن يسلم وجهـه إلى الله وهـو محسن فقـد استمسـك بالعروة الوثقى﴾(١) :

وهـذا الـدين الـذى هو الإسـلام هو ما أنزله الله على جميع رسله من لدن نوح ـ عليـه السـلام ـ إلى محمـد ﷺ والنـاس هم الذين غيروا وبدلوا فسموا دين الله يهودية أو نصرانية أو غير ذلك .

والله تبـارك وتعـالى لن يقبـل من عباده إلا هذا الدين الذى أنـزلـه إليهم ، والـذى جاءت به رسله إليهم ، حتى ختمـوا برسالة محمد ﷺ فمن آمن ببعض الرسل ولم يؤمن ببعضهم فلن يقبل منه ذلك ، إذ الإسلام هو دين الرسل جميعا ، يقول الله تعالى :

﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾(٢) .

ويقـول : ﴿ان الـذين يكفرون بالله ورسوله ، ويريدون أن يفـرقـوا بين الله ورسله ويقـولـون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا﴾(٣) .

فالإسـلام إذن قد انحصر اليوم فى رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه لأن الله بعثه مصدقا لمن سبقه من الرسل وبعثه رسولا إلى الناس كافة بعد أن كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة .

---

(١) سورة لقمان / ٢٢ .

(٢) سورة البقرة /٢٨٥ .

(٣) سورة النساء / ١٥٠ـ١٥١ .

قال تعالى : ﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا﴾[1].

وقـال : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2].

وقـال : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾[3].

وقـال : ﴿تبـارك الـذى نزل الفـرقـان على عبـده ليكون للعالمين نذيرا﴾[4].

وقد أكد هذه الحقيقة ووضحها رسول الله ﷺ فيما روى عنه بطـرق متعـددة تشبه فى مجموعها التواتر المعنوى، فقد قال صلوات الله عليه :

«والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة، يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى ارسلت به إلا كان من أهل النار»[5].

وقال صلوات الله وسلامه عليه :

«كان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[6].

---

(١) سورة الأعراف /١٥٨.
(٢) سورة الأنبياء /١٠٧.
(٣) سورة سبأ /٢٨.
(٤) سورة الفرقان /١.
(٥) رواه مسلم.
(٦) متفق عليه.

إذن فالـدين الـذى ينجو به صاحبه دين واحد هو الإسلام ، والإسلام الذى ينجو به الإنسان هو الدين الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام .

والـدين الـذى جاء به محمـد عليـه الصلاة والسلام هو دين التوحيد لله :

«شهد الله أنه لا إله إلا هو»[1] .

ودين الشريعة التى تضمنها كتاب الله وسنة رسول الله فمن عمل بها فقد عمل بالإسلام ، ومن انحرف عنها فقد انحرف عن الإسلام . . .

يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» .

﴿ومـا اختلف الـذين أوتـوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ .

أوتوا الكتاب :اليهود والنصارى .

بغيا بينهم : ظلما وعدوانا وحسدا وليس بسبب خفاء الحق .

يقـول الله تعـالى : إن اليهود والنصارى لم يختلفوا ويتنازعوا بسبب خفـاء الحق عليهم ، وعدم وضوحه عندهم ، بل انهم اشتد خلافهم بعـد أن جاءهم الحق بسبب طغيـانهم وحبهم للريـاسـة وحسـد بعضهم بعضـا فاختلفـوا شيعا وأحزابا يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا .

---

(١) سورة آل عمران /١٨

والله يحذر المؤمنين أن يقعوا فى مثل ما وقع فيه هؤلاء، فنحن والحمد لله عندنا كتاب الله لم يبدل، وعندنا سنة رسول الله لم تحرف .

والخلاف طلبا للحق لاشىء فيه، كالخلاف حول الأحكام الفقهية، فإنه من باب الاجتهاد، ومن اجتهد فأصاب فله اجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر .

ولكن هذه الخلافات لا يصح أن تفرق الأمة أو تمزق جماعة المسلمين، فهذا يتعصب لمذهبه، وذلك يقاتل من أجل مذهبه، هذا ما يرفضه الإسلام، وإلا اصبحنا مثل أهل الكتاب .

﴿من يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب﴾ :

ومن يرفض الإيمان بتلك الآيات التى انزلها الله موضحة أن الدين عند الله الإسلام، ودالة على صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى قد أعد له سوء الحساب وسوء العذاب .

حاجوك : جادلوك معاندين مكذبين .

يقول الله تعالى لرسوله ولكل مؤمن به : فان جادلك هؤلاء المعاندون فى قضية التوحيد رافضين لها فأعلن بكل قوة موقفك وهو :

أسلمت وجهى لله، وأخلصت لله ظاهرا وباطنا، أسلمت نفسى لله، وكذلك كل من اتبعنى وسار على طريقتى، إننا جميعا أسلمنا لله وحده لا شريك له :

﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب

العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرت وأنا أول المسلمين﴾[1].

﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم؟ فان أسلموا فقد اهتدوا، وان تولوا فإنما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد﴾.

الأميــون : الذين لا كتاب لهم .

تولـــوا : أعرضوا ولم يؤمنوا .

عليك البلاغ :عليك أن تبلغ الناس برسالة الله .

المعـنى : يطلب الله تعـالى من رسـولـه صلوات الله عليـه أن يدعـو النـاس جميعـا ـ سواء منهم من كان له كتـاب منـزل أم لم يكن ـ إلى الإسلام بمعناه السلام، وهو التــوحيــد لله، والعبــادة لهـ، والخضـوع والانقيـاد لأوامـره، فان ما عليـه النـاس ليس بإسـلام بعد أن أشركوا بالله، وانحرفوا عن تعاليمه حتى أعلنوا انهم يؤمنــون بوجــود الله، فلا قيمــة لهذا الإيـمان وهم مشركون به .

﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله، فأنى يؤفكون﴾[2].

فان أجـابـوا للإسـلام بهذا الفهم فقـد اهتـدوا إلى الدين الصحيح والطريق المستقيم .

وان أعـرضوا وتمسكوا بفهمهم الخاطىء فأمرهم إلى الله، ومـا عليـك أنت إلا البـلاغ، وقد فعلت، وأما

---

(١) سورة الأنعام /١٦٢.

(٢) سورة الزخرف /٧٨.

هؤلاء المعاندون فقد لزمتهم الحجة، وحقت عليهم كلمــة العـذاب والله أعلم بهم وبصـير بأحـوالهم، وقدير على مجازاتهم .

المناقشـــــة

(١) «الإسلام هو دين الله الذى أنزله على رسله» .
اشرح هذه العبارة موضحا أن كل الرسل اتفقوا على دين واحد؟ .

(٢) الإســلام يعنى.. ....الله. . ...و.......بكــل رسله، ومن آمن ببعض الرسل فليس .
أكمل العبارة السابقة .

(٣) أهـل الكتـاب هم.. .. و . . وهـؤلاء جميعا ليسوا مسلمين حتى . بمحمد ﷺ .

(٤) اختلف أهل الكتاب بسبب بحثهم عن الحق
،، ،، ،، ،، حبهم للعلم .
،، ،، ،، حسداً وبغيا .
ضع علامـة (صـح) أمـام العبـارة الصحيحة وعلامة (خطأ) أمام العبارة الخاطئة .

(٥) ضع الكلمات الآتية فى المكان المناسب لها :
جميع رسله ـ الناس جميعا ـ البلاغ ـ اهتدوا .
المسلم مطـالب اليـوم أن يدعـو .. إلى الإسلام بمعناه الصحيح وهو الإيمان بالله و . فان أجابوا فقد. .. وإن أعرضوا فما عليه إلا. . .

وحدة المسلمين ودعوتهم إلى الخير

سورة آل عمران

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ
فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

وحدة المسلمين ودعوتهم إلى الخير

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ :

يعتصم بالله : يتمسك بدين الله .

﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من أهل الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ :

ذكر علماء أسباب النزول عن ابن اسحاق وأبى الشيخ عن زيد بن اسلم قال: مرشاس بن قيس وكان يهوديا على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة، فأمر شابا معه من اليهود أن يجلس بينهم فيذكرهم بيوم بعاث ففعل، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان أوس بن قيظى من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فوعظهم وأصلح بينهم فسمعوا وأطاعوا فأنزل الله فيهم : **﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب﴾**

وفى رواية أخرى : فجاء رسول الله ﷺ وأصحابه فقال :

«أتدعون إلى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله تعالى بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألف بينكم، فعلموا أنها نزغة من الشيطان»، فألقوا السلاح واستغفروا، وعانق بعضهم بعضا .

وقال الواحدى : اصطفوا للقتال فنزلت الآيات إلى قوله تعالى ﴿لعلكم تهتدون﴾ فجاء النبى ﷺ حتى وقف بين الصفين، فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله انصتوا إليه، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون .

هذا بعض ما ذكره التاريخ من أسباب نزول هذه الآيات الكريمة، ومنه نتبين أن طاعة المسلمين لأهل الكتاب من اليهود والنصارى هى سر فرقتهم وبداية ضياعهم وأن أهل الكتاب لا يضمرون للمسلمين إلا الضر والأذى .

﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾[1] .

﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم﴾[2] .

وهنا يقول الله تبارك وتعالى لنا :

﴿ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أُوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ .

وقد تبين هذا بوضوح فى هذا العصر الذى نعيش فيه، فهذه المحاولات الواضحة والخفية التى تقوم بها الارساليات التبشيرية أو التنصيرية ليست إلا صورة من صور هذا المكر الخبيث لردة المسلمين عن دينهم كما تشير هذه الآية .

والله تبارك وتعالى ينادى المؤمنين بقوله : **﴿ياأيها الذين آمنوا﴾**، ولم يقل ياأيها الناس أويابنى آدم كى نعلم أن مقتضى الإيمان والإسلام ألا نستمع لأهل الكتاب، ولا نطيعهم فى أمور

---

(١) سورة البقرة /١٠٩ .

(٢) سورة آل عمران /٦٩ .

ديننا ودنيانا، فإن طاعتهم ضلال، واتباعهم هلاك وعودة إلى الكفر بعد أن انقذنا الله منه .

إن الإسلام أعطى للدين صورته الصحيحة الكاملة بعد أن ختم الله به الرسالات، وأعطاه الشمول والكمال :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام دينا﴾(١) .

فلماذا إذن يستمع المسلم لأهل الكتاب أولغيرهم وعنده منهج الحياة الكامل أنزله الله إليه .

وماذا عند أهل الكتاب حتى يعطوه للمسلم، وليس عندهم إلا الضلال بعد أن بدلوا وحرفوا رسالات الله وكتبه .

يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه :

«لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا»(٢) .

يقول ابن عباس :

«كيف تسألون أهل الكتاب، وكتاب الله أنزل إليكم على رسول الله ﷺ أحدث، تقرأونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا وغيروا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم»(٣) .

بل إن رسول الله ﷺ ليعلن : «لوكان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعى»(٤) .

---

(١) سورة المائدة /٣.

(٢) رواه ابن جرير الطبرى.

(٣) رواه البخارى.

(٤) رواه الإمام أحمد وابن أبى شيبة وأبويعلى بألفاظ مختلفة

ويقول صاحب الظلال :

«ان طاعة أهل الكتاب والتلقى عنهم واقتباس مناهجهم تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلى عن دور القيادة الذى من أجله أنشئت الأمة الإسلامية، كما تحمل معنى الشك فى كفاية منهج الله لقيادة الحياة، وهذا بذاته دبيب الكفر فى النفس، وهى لا تشعر به ولا ترى خطره القريب» .

وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله :

استفهام تعجب وانكار، أى كيف يحدث من مسلم أن يطيع أهل الكتاب فيكفر بطاعتهم وهو يتلو كتاب الله ويجد فيه آياته البينات وحججه الواضحة التى ترسم للمسلم طريقه المستقيم الواضح .

وكيف يحدث من المسلم أن يستمع إلى أهل الكتاب ليضلوه ويردوه عن دينه، وهو يستمع إلى رسول الله ﷺ يزكيه بنور الله، ويربيه بوحى الله، ويهديه بما جاء به من سنة كريمة وهداية راشدة .

ولئن كان رسول الله ﷺ قد مضى إلى ربه فقد ترك فينا ما إن ـ تمسكنا به لن نضل أبدا كتاب الله وسنة نبيه .

﴿**إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون**﴾[1] .

وسنة رسول الله اجتهدت الأمة قرونا متوالية على صيانتها وحفظها، وتخليصها من كل دخيل، وقد جمعت كتب السنة ما صح من حديث رسول الله ﷺ .

---

(١) سورة الحجر /٩.

فنحن اليوم وإلى يوم القيامة نعيش وتتلى علينا آيات الله ، ونهتدى بسنة نبيه .

﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ .

هذا هو دين الله الحق شرحه الله تعالى لنا فى كتابه المحكم ، وفى سنة نبيه الكريم ، ومن يتمسك بهذا الدين كما شرحه الله لنا وكما وضحه رسوله فقد سار فى الطريق المستقيم .

﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾[1] .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ :

حق تقاته : حق تقواه وهو بذل غاية الجهد فى التزام الطاعة والبعد عن المعصية .

ينادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين آمرا لهم أن يلزموا تقواه ، وأن يبذلوا جهدهم فى هذه التقوى فلا يراهم حيث نهاهم ، ولا يفقدهم حيث أمرهم ، وبهذا يتقون الله حق تقواه ، فقد روى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه فسر (حق تقاته) فقال : «أن يطاع الله فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر»[2] .

﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ :

أى داوموا على التمسك بالإسلام فى جميع مراحل

---

(١) سورة الشورى /٥٣ .

(٢) رواه الحاكم فى مستدركه وابن أبى حاتم وروى أيضا مرفوعا.

حيـاتكم ، بحيث إذا أدرككم الموت فى أى لحظة من لحظـات الحيـاة وجدكم مسلمين لربكم طائعين له ، ويـذلـك تختم حياتكم فى الدنيا خير خاتمة ، وبذلك تلقون ربكم لقاء الأخيار والأبرار .

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ :

حبل الله : هو الإسلام وهو القرآن وهو الدين كله .

ولا تفرقوا : ولا تختلفوا على الدين فتضيع وحدتكم .

بعد أن أمر الله عباده المؤمنين بالتزام ما شرع لهم وما جاء به دينهم بقـولـه تعالى : **﴿اتقوا الله حق تقاته﴾** ـ أمرهم أن يتمسكوا بدينهم ـ وأن يعيشـوا فى وحـدة وألفـة بعيـدا عن الخلاف والفرقة ، فإذا كان أساس هذا الدين هو تقوى الله ، فان حماية هذه الأمة فى وحدتها وتماسكها وألفتها .

يقول رسول الله ﷺ :

«مثـل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» .

ويقول صلوات الله عليه :

«المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا» .

وفى حجـة الـوداع حذر رسـول الله هذه الأمـة من الفـرقـة والخلاف ، يقول :

«ألا لا ترجعـوا بعـدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد» .

وهكذا يقيم الإسلام هذه الأمة على أساس وحدة العقيدة التى تذوب تحت حرارتها كل أسباب الخلاف والفرقة، فقد عرفت الجاهلية كيف تشعل فى حياة البشر نيران الصراعات والانقسامات باسم القبليـة أو الأقليميـة أو العنصرية، ولكن الإسلام رفض كل هذه النعرات الباطلة، وأعلن رسول الله ﷺ ذلك بقوله :

يا أيهـا النـاس ان الله أذهب عنكم عُبيِّـة[1] الجـاهليـة، وتَعظُّمَها بآبائها»[2].

وقولـه :

«المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى»[3] .

وقولـه :

«ليس منا من دعا إلى عصبية» .

﴿واذكـروا نعـمـة الله عليكم إذ كنتم أعـداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ .

فألف بين قلوبكم : فجمع بينكم بالمحبة فى الإسلام .

تشـير الآيـة الكـريمـة إلى ما كان بين الأوس والخـزرج فى الجـاهليـة من عداء وخصومة، فلما جاء الإسلام أنقذهم من ظلام الجاهلية إلى نور الإيمان، ومن عداوة القبلية إلى الألفة والمحبة فى ظلال الإسـلام، فكـان هذا الـدين نعمـة لكل من اعتنقه، وكان هذا الدين هو الطريق إلى تحقيق الأخوة الجامعة .

---

(١) الفخر والكبر .

(٢) رواه ابن أبى حاتم .

(٣) رواه الطبرى .

﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ .

﴿إنما المؤمنون اخوة﴾[1] .

«المسلم أخو المسلم»[2] .

وقد كانت حياة الفرقة وحياة الخصومة هى طريقهم إلى النار، فأنقذهم الله بالإيمان والاخوة من هذا المصير المهلك .

وأنظر كيف صور القرآن الكريم حياة الجاهلية وما فيها من صراعات وخصومات بقوله :

﴿وكنتم على شفا حفرة من النار﴾ .

وأنظر ماذا صنع الإسلام بهم فى ظلال الألفة والمحبة :

﴿فأنقذكم منها﴾ .

وهكذا يصنع الإسلام فى كل حين، فالناس عندما يعودون إلى حياة الجاهلية بالفرقة والخصومة والخلافات يصبحون على شفا حفرة من النار، ويسيرون نحو الهلاك والدمار فلا ينقذهم إلا العودة إلى الإسلام .

﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ .

أى مثل ذلك البيان الواضح الذى قدمته هذه الآيات من أن اصلاحكم بتقوى الله، ونجاتكم بالوحدة وعدم الشقاق والخلاف، مثل ذلك البيان يبين الله لكم شرائع دينه حتى تهتدوا إلى الحق وتثبتوا عليه .

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ .

---

(١) سورة الحجرات / ١٠.

(٢) متفق عليه .

الخــــير : هو الإسلام أو القرآن أو كل ما نفع الناس فى دينهم .

المعروف : ما أقره الشرع وتعارف المؤمنون على صلاحه .

المنكــر : ما أنكره الشرع وتعارف المؤمنون على فساده .

والله تبارك وتعالى يعطينا فى هذه الآية الكريمة القاعدة الثالثة لصلاح المجتمع المسلم وهى :

«الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» .

فإذا كانت القاعدة الأولى فى حياة الأمة هى تقوى الله والتزام شريعته . . .

والقاعدة الثانية : وحدة الأمة وبعدُها عن الشقاق والنزاع . . .

فان القاعدة الثالثة لسلامتها واستمرار صلاحها هى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والدعوة إلى الخير هى حق كل مسلم ، فكل مسلم مسئول عن هذا الدين على قدر ما منحه الله من الفهم له والعمل من أجله «فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[1] .

والإسلام عندما اسقط نظام رجال الدين الذين يعتبرون أنفسهم دون غيرهم القائمين على شئون الدين ، جعل من كل مسلم رجل دين يدعو إليه ، ويقوم بحمايته والدفاع عنه ، ومن أهم وسائله فى ذلك «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» .

---

(١) متفق عليه .

وهى أيضا حق كل مسلم ومسلمة، يجهر بها المسلم فى كل موقف يرى أن من حق دينه عليه أن يرفع صوته بها، يقول رسول الله ﷺ :

«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

وفى رواية أخرى :

«وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2].

بل ان رسول الله ﷺ يؤكد أن ضياع الأمة وخسرانها فى تعطيل هذه الفريضة، إذ يقول :

«والذى نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهَون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»[3].

وكما أن ضياع الأمة فى تعطيل هذه الفريضة فإن نجاحها واستمرار تقدمها فى التمسك بهذه الفريضة والعمل بها، يقول الله تعالى :

﴿وأولئك هم المفلحون﴾ .

أى أن الداعين إلى الخير والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم الناجون المفلحون فى الدنيا والآخرة .

﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ :

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الترمذى.

الذين تفرقوا : اليهود والنصارى .

البينـات : الحجج الواضحة، والآيات الظاهرة .

بعـد أن وضحت الآيـات السـابقـة قواعـد سلامة المجتمع المسلم الثلاث :

١ ـ تقوى بالتزام شرعه .
٢ ـ وحدة الأمة وتمسكها بدينها .
٣ ـ دعوتها إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

بعد أن وضحت ذلك جاء التحذير هنا من الفرقة والخلاف بضـرب المثـل بما حدث للأمم السـابقـة عنـدمـا اختلفت حول مذاهب باطلة يدور الخـلاف فيهـا حول العقيـدة، فهـؤلاء هم النصـارى وقـد تعـددت مذاهبهم بين من يؤله المسيح ويؤله أمه، ومن يؤلـه المسيـح دون أمـه، ومن يرى المسيـح مكـونـا من الوهية وإنسـانيـة، ومن يراه انسـانـا فقـط، وهكـذا اضطربت عقائدهم فاختلفت مذاهبهم فضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .

وقـد كانت هذه الاختـلافـات بعـد وضـوح الحق من الله، ونـزولـه على رسله، فكـان مصـيرهم الضيـاع فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة .

والله يقـدم لنـا هذا المثل من الأمم السابقة محذرا لنا ان نقع فى مثل ما وقعوا فيه فنضل الطريق وتذهب ريحنا .

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾(١) .

---

(١) سورة الأنفال.

وواضح أن النهى انما ينصب على الخلاف والفرقة فى العقيدة، وأما الخلاف حول فروع الشريعة بقصد توضيح أحكامها فلا شىء فيه، بل فيه ثواب وأجر مادام يستند إلى أصول سليمة فى الاجتهاد، ومادام لا يتحول إلى عصبية وفرق، كل فرقة تنتصر لرأيها، وتفرق جماعة المسلمين، هذا يقول أنا شافعى، وذاك يقول أنا حنفى، وآخر يقول أنا مالكى أو حنبلى، يريد كل منهم أن يقول: ان الإسلام هو مذهبى، والآخرون على ضلال مبين .

وهذا ما يرفضه الإسلام، ويراه ضياعا لهذه الأمة، فهذه الأمة لا تجتمع حول مذهب، وانما تجتمع حول العقيدة .

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ .

والإسلام لا يقوم على مذهب، فقد كان الإسلام كاملا قبل هذه المذاهب، وسلفنا الصالح الذين قعّدوا قواعد هذه المذاهب يرفضون أن يختلف الناس بسبب مذاهبهم ولو دار بفكرهم هذا ما أتعبوا أنفسهم، ولا أقاموا مذاهبهم، وهم رحمهم الله إنما أرادوا مساعدة الناس فى فهم دينهم، والسير على كتاب ربهم وسنة نبيهم .

المناقشـــة

١ ـ تحدث عن أثـر طاعـة المسلم لأهـل الكتاب كما فهمت من قوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب. . . ﴾ .

٢ ـ **﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب. . . ﴾**

ماذا تعرف عن سبب نزول هذه الآية ، وماذا نستفيد نحن من ذلك فى عصرنا الحاضر.

٣ ـ **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته . . . ﴾**

ـ كيف تكون التقوى حق التقاة؟

ـ وما المراد بقوله : ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون؟

٤ ـ تحدثت الآيـات السـابقـة عن قواعـد ثلاث لسـلامـة المجتمع المسلم هى :

ـ . . . .

ـ . . . .

ـ . . . .

٥ ـ نهت الآيـات عن الفـرقـة والخلاف ، فما الخلاف الذى يحطم الأمة ، وما الخلاف الذى لا شر فيه؟ .

٦ ـ صورت الآيـات أثـر الـوحـدة والمحبـة ، وأثـر الخـلاف والشقاق ، وضح الصورة التى رسمتها؟ .

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾

﴿يـا أهـل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنـما المسيـح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منـه ، فآمنـوا بالله ورسله ، ولا تقـولـوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انـما الله إلـه واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلا﴾ :

يا أهل الكتاب : المراد النصارى .

لا تغلوا فى دينكم : لا تجاوزوا الحـد فى فهم الدين وعقائده ، وذلك برفع درجة المسيح عن البشرية إلى الألوهية .

ينـادى الله تبـارك وتعـالى أهـل الكتـاب من المسيحيين أن يلتـزمـوا الفهم السليم والدين الصحيح ، فلا يخلطوا بين ما لله من تعظيم وتنـزيـه والوهية ، وبين ما للمسيح من بشرية كريمة ورسالة من ربه وعبودية لله ، فالله إله واحد أحد ، والمسيح رسول بشر عبد ، هذا هو القـول الحق فى الله وفى المسيـح ، وهـذا ما أنـزلـه الله على رسله كلهم اعلنوا كلمة التوحيد ، وأن الله وحده إله هذا الكون .

يقـول صلوات الله وسلامه عليه :

«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى ـ لا إله إلا الله ـ» .

فيا أهل الكتاب لا تقولوا على الله إلا الحق :
فلا تنسبوا إليه الصاحبة والولد .

﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة﴾[1].

ولا تجعلوا معه الها آخر .

﴿ولا تدع مع الله الها آخر، لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه﴾[2].

﴿لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾[3].

ولا ترفعوا رجال دينكم إلى مرتبة الألوهية فهم بشر يأكلون ويشربون :

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا﴾[4].

﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ ويا أهل الكتاب لا ترفعوا المسيح فوق قدره، ولا تنزلوه منزلة الألوهية فذلك كفر واشراك :

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم﴾[5].

والمسيح بشر وإنسان، عاش كما عاش الناس، يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠١.
(٢) سورة القصص الآية ٨٨.
(٣) سورة المائدة الآية ٧٣.
(٤) سورة التوبة /٣١.
(٥) سورة المائدة /٧٢.

﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾(١)

وعبارة كانا يأكلان الطعام تعبير قرآنى جميل، وكناية لطيفة عما فى البشرية من نقص، وما يترتب على أكل الطعام من الفضلات التى يتنزه عنها الإله الكامل فى صفاته..

وعيسى عليه السلام عبد فكيف يكون العبد إلها، بل شّرفَهُ فى هذه العبودية لله :

﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل﴾(٢)

وعيسى عليه السلام رسول الله كسائر رسله، وقد أعلن ذلك عيسى منذ ولادته :

﴿قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا﴾(٣)

وعيسى كلمة الله، بها ظهر للوجود، كما ظهر آدم للوجود بها :

﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾(٤).

وكلمة الله النافذة هى قوله لأى شىء يريده (كن) .

﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾(٥)

---

(١) سورة المائدة / ٧٩.
(٢) سورة الزخرف / ٥٩.
(٣) سورة مريم / ٣٠.
(٤) سورة آل عمران / ٥٩.
(٥) سورة النحل / ٤٠ .

وعيسى ليس الكلمـة وإنـما خلق بالكلمـة، كما خلق كل شيء بها، وكـما وضـح الله ذلـك في الآيـة السـابقـة لا كما تزعم النصارى أنه نفس الكلمة .

وقـد أعلن القـرآن هذه الحقيقة عندما تعجبتْ مريم من أن تحمل في بطنها جنينا دون أن تلتقي بإنسان :

﴿قـالت ربي أنى يكـون لي ولـد ولم يمسسني بشـر، قال كذلك. الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾[1].

فعيسى إذن خلق بالكلمـة التي ألقـاها الله إلى مريم فكان بها عيسى، كما كان بها من قبل آدم، كما كان بها كل الكون .

﴿كن فيكـــون﴾

وعيسى عليه السلام روح منه، فهو بنفخة من روح الله خلق .

﴿والتي أحصنت فرجهـا فنفخنـا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾[2].

﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾[3].

وهو بهذا ليس بدعا من الخلق فقد خلق من قبله آدم بهذه النفخة .

﴿وإذ قال ربـك للمـلائكـة اني خالق بشـرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران /٤٧ .

(٢) سورة الأنبياء /٩١ .

(٣) سورة التحريم ١٢ .

(٤) سورة ص ٧١ ـ ٧٢ .

فعيسى نفخة من روح الله، كما كان آدم نفخة من روح الله.

﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ .

أى إذا كان عيسى بشرا رسولا وعبدا نبيا فهو رسول كسائر الرسل، والله وحده هو إله السموات والأرض، فآمنوا بالله الها واحدا، وآمنوا بكل رسله بما فيهم عيسى ومحمد عليهما الصلاة السلام .

﴿ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيرا لكم﴾ :

لا تفتروا على الله الكذب فتزعموا أن الله ثالث ثلاثة (الأب ـ الابن ـ والروح القدس) ثم تجدون الأدلة واضحة فى اثبات التوحيد، فتحارون فى التوفيق، وتدخلون فى الغموض والمعميات، عندما تقولون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، فكيف يكون الأب ابنا، وكيف يكون الابن أبا، وكيف يكون الأب والابن الروح القدس؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

﴿انتهوا خيرا لكم﴾، وقولوا مع جماعة المؤمنين :

«انما الله إله واحد» . . «واحد أحد، فرد صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» .

هذه هى الحقيقة الكبرى فى التوحيد، وليس هناك حقيقة أكبر منها ﴿ذلك بأن الله هو الحق، وانما يدعون من دونه هو الباطل﴾[1] .

فالله منزه عن التعدد والكثرة :

﴿ولا تجعلوا مع الله إلها آخر، انى لكم منه نذير مبين﴾[2] .

---

(١) سورة الحج /٦٢.
(٢) سورة الذاريات /٥١.

والله منزه عن الوالد والولد :

سبحانه تنزه أن يكون له ولد

﴿وسبحانه أن يكون له ولد، له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ :

وكفى بالله وكيلا : أى هويملك كل المخلوقات فكيف يكون له منها شريك، وكل الكائنات مخلوقة، فكيف يصبح المخلوق إلها خالقا؟ .

وكل المخلوقات يصير أمرها إليه، فهوراعيها، وهوربها المنعم عليها، وهو سيدها والآخذ بناصيتها **﴿وكفى بالله وكيلا﴾** .

فكيف يتخذ منها الولد والصاحبة، وهوغنى عنها، وهى المحتاجة إليه :

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدُهم من فضله، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبُهم عذابا أليما، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ .

يستنكف : يتكبر ويأنف ويترفع .

يوفيهم أجورهم : يعطيهم ثواب أعمالهم وافيا كاملا .

لقد رفع النصارى شخصية عيسى عليه السلام فأدخلوه فى مجال الألوهية، وأعطوه صفات الإله، وضل مشركو العرب فرفعوا الآلهة عن مستوى العبودية وجعلوا الملائكة بنات الله فرد عليهم أن عيسى الذى اتخذتموه إلها لن يترفع عن مستوى العبودية، فهوعبد

الله، بل كل الرسل جميعا من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام عباد الله، وكل الانس والجن عباد الله.

﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾[1].

﴿ان كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا﴾[2].

والملائكة المقربون عباد أيضا لله، لن يخرجوا عن دائرة العبودية ولن يترفعوا عنها، بل يرونها تكريما لهم وتشريفا :

﴿وقالوا أتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾[3].

هذه هى القاعدة التى توضح الصلة بين الله ومخلوقاته، الله وحده هو الإله المتفرد فى ذاته، المتفرد فى صفاته، المتفرد فى أفعاله، الغنى عن كل ما سواه، المحتاج إليه كل من سواه .

﴿قل من رب السموات والأرض قل الله، قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا﴾[4].

ومن يخرج عن هذه القاعدة فيرى لنفسه صفة من صفات الله ولا يرى نفسه عبدا خاضعا لله فهذا مصيره ايا كان شخصه :

﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾.

---

(١) سورة الذاريات /٥٦.

(٢) سورة مريم /٩٣.

﴿ومن يقـل منهم انى إلـه من دونـه فذلـك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين﴾[1] .

هذا هو المصـير ، جميـع الخلق راجعـون إلى ربهم ، وهنـاك يرون جزاءهم وحسابهم .

﴿فأمـا الـذين آمنـوا وعملوا الصـالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ .

والإيـمان هنا منشؤه العقيدة الصحيحة التى ترى الله وحده فوق الخلق جميعـا ، وتـرى المخلوقـات جميعـا صنعـة الله وعبـاده ، والــذين تستقــر فى نفـوسهم هذه العقيـدة ، ويعملون الخـير من خلالها ، فسيجدون عند الله حسن الجزاء فى جنة عرضها السموات والأرض ، وسيجــدون فوق ذلــك الــزيــادة من رضــوان الله ، ومشاهدته ومن شفاعة رسول الله وصحبته .

وأما الذين يتكبرون عن هذه العقيدة فيحرفون فى فهمها ، أو يخرجون عليها ، فمصيرهم ما تحدثت عنه الآية :

﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ .

هذا هو مصـيرهم وهـو سوء العذاب فى الآخرة ، ولن يجدوا من ينقذهم من عذاب الله ، فليس هناك معين ولا ناصر.



(١) سورة الأنبياء ٣٦ ـ ٣٧.

المناقشـــــة

١ ـ ما المراد بأهل الكتاب عموما، وماذا يراد بهم هنا؟

٢ ـ الغلوفى الـدين محرم فى العقيدة والشريعة فكيف يكون الغلوفى العقيدة؟ .

وهل تجد لذلك مثلا فى حياة المسلمين اليوم؟ مثل :

٣ ـ غلت النصارى فى عيسى فماذا قالت؟

٤ ـ لم نتعــود من القــرآن ان ينسب الأنبيـاء إلى آبـائهم أو أمهـاتهم، ولكننـا تعـودنـا منه ان ينسب عيسى إلى أمه، فهل تجد لذلك سببا؟ اشرح ذلك؟

٥ ـ رد الله على النصــارى اعتقـاداتهم الـزائفـة فى عيسى موضحا أنه :

(١) ابن ..

(٢) و .... الله .

(٣) و .... ألقاها إلى مريم .

(٤) و .... منه .

٦ ـ عيسى خلق بالكلمة ـ اشرح هذه العبارة؟

٧ ـ يقـول ابن يحي : ليس الكلمـة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى . .

فماذا يعنى بهذه العبارة؟ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ
أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ
حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ
يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾

يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا: يريدون أن يجعلوا لهم طريقا ومذهبا بين الكفر والإيمان.

أعتدنا للكافرين عذابا مهينا: أعددنا لهم عذابا فيه اهانتهم ومذلتهم.

عرف الناس على مدى التاريخ نماذج من الكفر يختلف بعضها عن بعض، ولكنها تلتقي جميعا تحت عنوان الكفر والعصيان:

أ ـ فهناك من لا يؤمن بإله ولا برسول كهؤلاء الملحدين الذين تشاهد نماذج منهم فى عصرنا الحديث يجعلون الإنسان سيد نفسه ليس وراءه سلطة تسيطر عليه أو تهديه أو تحاسبه.

ب ـ وهناك من يؤمن بالله ولا يؤمن برسالة ولا نبوة ويرى أن الله خلق الكون وأوجده، ولكن لا يمكن أن تكون هناك نبوة أو رسالة خضوعا لفلسفات فكرية أو نظريات خاطئة.

جـ ـ وهناك من يؤمن بالله ويؤمن برسالة دون رسالة ونبوة دون نبوة كما يفعل اليهود والنصارى، فاليهود يؤمنون بموسى ولا يؤمنون بعيسى أو محمد عليهم الصلاة والسلام، والنصارى يؤمنون بعيسى ولا يؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام.

وهؤلاء جميعا تتحدث عنهم الآية الأولى:

﴿ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن

يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ .

أ ـ فالذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون برسالاته جميعا كافرون سواء كانوا أيام نزول القرآن الكريم، أوكانوا فى هذه الأيام يعيشون تحت راية المدنيات الحديثة وأفكارها المادية التى تجعل الانسان لا يؤمن إلا بالمحسوسات والشهوات فلا يختلفون فى شىء عن الحيوانات التى تعيش لحاجات بطنها .

﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم﴾[1] .

إن أول صفة تميز الإنسان عن الحيوان، وتميز المؤمن عن الكافر هى إيمانه بالغيب، إيمانه بما وراء المادة، إيمانه بأن القوة التى لا يراها بحسه هى قوة اسمى وأعظم، فإذا فقد الإيمان بالغيب عاش حياته كما تعيش الأنعام، وكان فى آخرته وقود نار جهنم .

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾[2] .

ب ـ وهؤلاء الذين يؤمنون إيمانا عقليا فلسفيا ويعتزون بفلسفاتهم ونظرياتهم التى هدتهم إلى الإيمان بالله، ولكنهم توقفوا عند الإيمان بالله، ولم يؤمنوا برسالاته هم أيضا كافرون، لأن العقل قد يهتدى إلى بعض الحقائق، ولكنه عاجز فى مجالات

---

(١) سورة محمد /١٢ .
(٢) سورة الأعراف /١٧٩ .

الغيب لا يستطيع أن يسير فيها والإيمان بالله يقتضى الإيمان برسله، فإنهم يبلغون عن ربهم، وتكذيبهم تكذيب لربهم.

﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾(١).

وهؤلاء الذين دفعتهم أهواؤهم وعصبياتهم وجهالاتهم أن يؤمنوا برسولهم دون غيره لا عن نظر ودليل وإنما بحكم الإلف والعادة أو بدافع التعصب والهوى، فآمنوا بعيسى وكفروا بمحمد، هؤلاء يريدون أن يفرقوا بين رسل الله فيقولوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، والإيمان كل لا يتجزأ، فالإيمان بالله إيمان به وبكل ما أوحى به، وبكل ما أوحى إليهم، وتكذيب رسول تكذيب لسائر الرسل، إذ أن كل رسول يؤكد رسالة غيره، ويصدق من جاء قبله، فلا يقبل إيمان إلا أن يكون بالله وبجميع رسله:

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله﴾(٢).

﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله، والكتاب الذى نزَّل على رسوله، والكتاب الذى أُنزِلَ من قبل﴾(٣).

﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم﴾(٤).

---

(١) سورة النساء /١٣٦.
(٢) سورة البقرة /٢٨٥.
(٣) سورة النساء /١٣٦.
(٤) سورة البقرة /١٣٦.

هؤلاء وأولئك سجل الله عليهم الكفر بقوله :

﴿**أولئك هم الكافرون حقا**﴾ أى هم الكافرون كفرا ثابتا محققا مهما ادعوا الإيمان وتظاهروا بقوة التدين، وأقاموا المعابد والبيع وانقطعوا للعبادة والتبتل .

وسجل الله تبارك وتعالى سوء مصيرهم بقوله :

﴿**وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا**﴾ .

أى وليس للكافرين من جزاء إلا العذاب الشديد يوم القيامة، وهؤلاء قد كفروا كفرا حقيقيا فحق لهم سوء العذاب، ومأواهم جهنم وبئس المصير .

﴿**والذين آمنوا بالله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم، وكان الله غفورا رحيما**﴾ .

فالإيمان الحق هو الإيمان بالله إلها واحدا فى ذاته وصفاته، والإيمان بكل رسله وبكل أنبيائه الذين أخبرنا برسالتهم ونبوتهم، والإيمان بأن الله أنزل إلى عباده كتبا أوحى بها إلى رسله، فلا نفرق بين رسول ورسول، ولا نؤمن برسول دون رسول .

وهذا الإيمان هو إيمان هذه الأمة التى اختارها الله تعالى ليجعلها تحمل خاتمة رسالاته، ويجعل رسولها محمداً صلوات الله وسلامه عليه خاتم أنبيائه ورسله .

فالأنبياء جميعا حملوا إلى البشر دينا واحدا هو الدين الذى اختاره الله لعباده، وكلهم أعلنوا للناس عقيدة واحدة يقول الله تعالى : ﴿**ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك**﴾[1] .

---

(١) سورة فصلت /٤٣ .

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾(1).

هذا هو الدين الحق الذى ينجى صاحبه ويسعده فى الدنيا والآخرة، ولا يقبل الله من عباده غيره، وهؤلاء الذين يؤمنون هذا الإيمان قد وعدهم الله بحسن الجزاء وبسعادة الدنيا والآخرة .

﴿أولئك سوف نُؤتيهم أُجورهم، وكان الله غفورا رحيما﴾ .

أى هؤلاء المؤمنون سينالون أجرهم فى الدنيا عزا ونصرا . . .

﴿ولينصرن الله من ينصره﴾(2) .

وينالون أجرهم فى الآخرة نعيما مقيما فى الجنة ورضوانا من الله أكبر، وكان الله غفورا رحيما .

---

(1) سورة الشورى /13 .

(2) سورة الحج / 40 .

المناقشـــة

١ ـ أكمل العبارة الآتية بوضع الكلمات المناسبة مكان النقط :

الإيـــمان الحـــق أن تؤمـــن بـ .... وجمـــيـــع كتـبـــه وجميع . . . لا تفرق بين أحد من .

٢ ـ صحيح ـ كافر ـ يقبل إيمانه ـ فاسد :

الذى يؤمن بالله وحده ولا يؤمن برسله .. ..

الذى يؤمن بالله وبجميع رسله إيمانه .. ..

الذى يؤمن بمحمد ولا يؤمن بموسى وعيسى لا . .

الذى يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى دينه ... .

٣ ـ لقد أنزل الله إلى عباده كتبا هى :

(١) (٢)

(٣) (٤) والقرآن

سورة الأنعـــام

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

﴿قــل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينــا قيـما ملة ابراهيم حنيفا، وما كان من المشركين﴾ :

١ ـ صراط مستقيم : طريق موصل إلى الحق بلا انحراف .

٢ ـ قيمـا : مستقيما .

٣ ـ حنيفا : مائلا عن الأديان الباطلة .

يأمــر الله تبــارك وتعـالى أن يعلن ما أنعم الله به عليـه من الهداية إلى أقوم دين، وأهدى طريق، وأى هداية أعظم من هداية الله؟

﴿قل ان هدى الله هو الهدى﴾[1] .

﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾[2] .

فالهداية هنا ليست هداية البشر، وإنما هى هداية الله .

﴿هـــدانى ربى﴾

والذى اهتدى إليه رسول الله ﷺ هو :

صراط مستقيم، وهـو الطـريق الـواضـح الذى يوصل إلى الحق، وغـيره طرق ملتـويـة معـوجـة، فليس هنـاك طريق للحق يوصـل إلى العقيـدة السليمة والشريعة الصحيحة إلا طريق واحد هو الصراط المستقيم .

---

(١) سورة البقرة / ١٢٠.

(٢) سورة الاسراء /٩٧.

﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور﴾(1)

وهذا الصراط المستقيم هو الدين القيم، الدين الواضح هو الإسلام، هو دين الأنبياء جميعا، والدين الذى دعا إليه أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام فهو إذن :

﴿ملة ابراهيم حنيفا، وما كان من المشركين﴾ :

فالإسلام هو ملة ابراهيم حنيفا أى مائلا عن كل الأديان الباطلة، يقول صلوات الله عليه وسلامه :

«أصبحنا على ملة الإسلام وكلمة الاخلاص، ودين نبينا محمد، وملة ابراهيم حنيفا، وما كان من المشركين»(2)

والإسلام هو دين الحنيفية السمحة، يقول صلوات الله عليه :

«انى أرسلت بحنيفية سمحة»(3).

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولا مشركا وإنما كان موحدا وكان حنيفا مسلما .

يقول الله تعالى :

﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين﴾(4)

---

(1) سورة الشورى /53.

(2) رواه الامام أحمد فى مسنده.

(3) رواه الامام أحمد فى مسنده.

(4) سورة آل عمران /67.

ولئن كان الله تبـارك وتعـالى قد أمـر نبيه أن يعلن فضل الله بهدايتـه إلى أكـرم دين ، فاننا ـ معشر المسلمين ـ نقتدى برسولنا فى هذا لأن هذا الفضـل يشملنـا ، فقـد هدانا إلى ما هدى إليه نبيه ، فنحن نحمد الله على نعمة الإسلام .

فـ ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾[1] .

﴿قـل إن صلاتى ونسكى ومحيـاى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين﴾ :

محيـاى : حياتى .

نسكى : ذبيحتى التى أذبحها للعبادة فى الحج وغيره .

هكـذا المسلم الحق لا يتـوجـه إلا إلى الله فى كل عبـاداتـه وغـايـاتـه ، فصـلاتـه لله وحده ، لايتوجه بها لغيره كأهل الديانات الأخـرى ، وذبـائحـه التى يتقرب بها إلى الله لا تكون إلا لربه ، لا يذبـح ريـاء ولا يذبـح لقبر ولا يذبح لصنم ولا يذبح مقدسا الملوك والأولياء ، ذبيحته لله وحده .

وحياته كلها لا تفنى إلا بالعمل الذى يرضى الله ، انها حياة عبادة وحياة جهاد .

إنها حياة لله ، وموت فى سبيل الله ، ليس لغير الله شركة فيها :

﴿قـل انى أمـرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ، وأمرت لأن

---

(١) سورة الأعراف /٤٣ .

أكـون أول المسلمـين، قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم، قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾[1].

ورســـول الله ﷺ أول المســلمـــين من هذه الأمـــة، وأول المستجيبـين لله الخـاضعين لارادته، ونحن جميعا وراءه نلتزم بما أمر به، فإذا كان الله قد أمر نبيه، فنحن مأمورين معه، لأن الله تعالى طالبنا أن نقتدى به .

﴿لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة﴾[2].

والله تبارك وتعالى جعل طاعته فى طاعة رسوله ﷺ :

﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[3].

بل جعل محبته فى متابعة رسوله صلوات الله عليه :

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[4].

﴿قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء، ولا تكسب كل نفس إلا عليـهـا، ولا تزر وازرة وزر أخــرى، ثم إلـى ربـكـم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ :

الــرب : المالك المتصرف المربى .

أبغـــى : أقصد وأريد .

لا تكسب كل نفس إلا عليها : لا تحمل كل نفس إلا ذنوبها .

---

(١) سورة الزمر ١١، ١٢، ١٣.

(٢) سورة الأحزاب / ٢١.

(٣) سورة النساء / ٨٠.

(٤) سورة آل عمران / ٣١.

ولا تزر وازرة وزر أخرى: لا يتحمل أي شخص ذنوب غيره.

إلى ربكم مرجعكم: المصير إلى الله فى نهاية الأمر.

ينبئكم: يخبركم ويعلمكم.

﴿قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء﴾.. استفهام فيه معنى الانكار والتعجب. إذ كيف اطلب ربا غير الله، وهو وحده رب هذا الكون كله، خلقه بقدرته، وسيره بارادته، وتولاه بحفظه ورعايته وتربيته، كيف اشرك بربى أربابا زائفة، وآلهة باطلة، وهو وحده الإله الأحد، الفرد الصمد:

﴿قل هو ربى لا إله إلا هو، عليه توكلت، وإليه متاب﴾[1].

كيف أدعو غيره وهو الذى يعلم جهرى وسرى، ويحاسبنى على ما قدمت يداى، وقد حكم بعدله ان كل نفس مسئولة عن ذنوبها، فلا تحمل إلا اثم جناياتها، ولا تتحمل آثام غيرها، ليس فى موازينه اختلال فالجريمة مسئول عنها صاحبها:

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[2].

ليس فى موازينه ما يدعيه تجار الأديان، وسماسرة المناصب الدينية من قدرتهم على غفران الذنوب، واعطاء صكوك الغفران، وليس فى موازينه أن أحد مخلوقاته يضحى بنفسه ويريق دمه من أجل أن يفدى الإنسانية كلها، من ذنوبها كما يزعم الدجالون من أهل الديانات الأخرى، الأمر فى مجال الذنب كما سجلته كلماته:

---

(١) سورة الرعد ٣٠.

(٢) سورة المدثر ٣٨.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ .

وأما فى مجال الخير ، فقد ينتفع الانسان بعمل غيره فضلا من الله ورحمة ، يقول صلوات الله عليه :

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أوعلم ينتفع به ، أوولد صالح يدعوله»(١) .

ويقول الله تعالى :

﴿كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا أصحاب اليمين﴾(٢) .

أى أما أصحاب اليمين فقد ينتفعون بغيرهم أما بالشفاعة وأما بغيرها كما قال الله تعالى :

﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء﴾(٣) .

والخلائق جميعا مصيرهم إلى ربهم ، فليعمل كلٌّ ما شاء فعمله مسجل عليه ، وعمله معروض عليه امام ربه ، وسيجد كلٌّ نتيجة عمله ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم﴾ .

خلائف الأرض : أى يخلف بعضكم بعضا فى عمارة الأرض .

ليبلوكم : ليعاملكم معاملة من يختبركم فيما أعطاكم .

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة المدثر ٣٨ ـ ٣٩ .
(٣) سورة الطور ٢١ .

يخاطب الله عباده جميعاً موضحا لهم أنه وحده الذى خلقهم ليعمروا الأرض، ويعيشوا فيها. يخلف بعضهم بعضا جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة، وأعطاكم من فضله ونعمه ما جعلكم تتعاونون فى اكتسابه، فيختلف بعضكم عن بعض فى الأجسام والعقول والأرزاق والأشكال والألوان.

كل ذلك لا ليعلو بعضكم على بعض أويتسلط بعضكم على بعض، ولكن ليعاملكم معاملة من يختبركم حتى يظهر من يشكر، ومن يكفر، وحتى يتبين العاصى والمطيع، لتنالوا عنده يوم القيامة جزاء أعمالكم، وثمرة حياتكم .

﴿إن ربك سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم﴾ :

وهو سريع العقاب لمن تمرد وعصى، وهو غفور رحيم لمن أطاع واتقى، وهذا ترهيب مع ترغيب حتى لا يأمن أخذه عاص ﴿ان أخذه أليم شديد﴾[1] ولا يقنط من رحمته طائع ﴿ان رحمة الله قريب من المحسنين﴾ .

والله تبارك وتعالى يعالج عباده بهاتين الصفتين، فمنهم من يصلحه الترغيب، ومنهم من لا يصلحه إلا الانذار والترهيب، والله مع هؤلاء وهؤلاء يعالج كلا بما يصلحه .

﴿نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم، وأن عذابى هو العذاب الأليم﴾ [3].

---

(١) سورة هود ١٠٢ .

(٢) سورة الاعراف ٥٦ .

(٣) سورة الحجر ٤٩ ـ ٥٠ .

المناقشـــة

١ ـ فى الآيــة الأولــى : قل إنــنــى هدانى . وصف الله تعالى الإسلام بعدة صفات... ... وضح تلك الصفات؟ .

٢ ـ وضحت الآية الثانية أسلوب المسلم فى عبادته وعمله، فكيف تكون تلك العبادة؟ وكيف يكون عمله؟ .

٣ ـ سبق الــرســلُ الكــرام رســول الله ﷺ إلى الإســلام، فكيف يكون أول المسلمين؟ .

٤ ـ أكمل العبارة الآتية بوضع الكلمات المناسبة :

كل نفس تتحمل... .... أعمالها .

لا تحمل أى نفس ذنوب . . . .

كل الــنــاس راجــعــون............ يوم . .

مجزيون........ ... حيث........... الله بما كانوا فيه . . . .

٥ ـ أعــمالنــا ـ خلائف ـ المحسن ـ الأجســام ـ المسىء ـ الأرزاق ـ الألوان .

الله جعلنــا.. ... . الأرض لنعمــرهــا بــ . والله جعلنــا متفــاوتــين فى ....و . .. . و . حتى يختبرنا كى يظهر ... . و. . . .

۞ قُلْ
تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ
شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ
إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾
وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ
وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ
ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿قـل تعـالـوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبـالـوالدين إحسانا، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيـاهم، ولا تقـربـوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾:

إمــلاق : فقر وضيق عيش .

الفواحش : الذنوب الكبيرة ولاسيما الزنى .

بطــن : اختفى .

هذه الآيـــات الكـــريمـــة من سورة الأنعـام قال عنهـا ابن مسعود ـ رضى الله عنه : «من أراد أن يقرأ صحيفة رسول الله ﷺ التى عليهـا خاتمـه فليقـرأ هؤلاء الآيـات : ﴿قـل تعـالـوا . . . . لعلكم تتقون﴾[1].

والمراد بقوله : التى عليها خاتمة أى الآيات المحكمة التى لم تنسخ أحكامها .

ويقول عنها ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

فى الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ :

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم . . . .﴾[2] الآيات .

ويـــرى بعض علماء التفســير[3] أن هذه الآيـات تضمنت الوصايا العشر التى جاء بها الإسلام لصيانة العقيدة والأسرة والمجتمع .

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه .

(٣) الشيخ شلتوت فى كتابه الوصايا العشر .

فالآية الأولى اشتملت على خمس وصايا، والثانية اشتملت على أربع وصايا والثالثة اشتملت على وصية واحدة، وقد ختمت كل آية بقوله تعالى ﴿ذلك وصاكم به﴾ إشعارا بقيمة تلك الوصايا، وأنها وصايا ربانية تستقيم بها حياة الناس، ويصلح بها أمر الدنيا والآخرة.

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾: يأمر الله تبارك وتعالى نبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يطلب من الناس أن يستمعوا إلى ما حرم الله عليهم، بعد أن وضح لهم في الآيات السابقة أن الأمور التي حرموها من عند أنفسهم لا أصل لها في مجال التحريم، إذ أن أمر التحريم والتحليل ليس من حق الناس ولا من حق رجال الدين، إن الحلال والحرام هما من حقوق الله تبارك وتعالى:

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾(١).

فما حرمته الجاهلية من الأنعام وغيرها ليس بحرام:

﴿قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾(٢).

وإذا كان أمر الحلال والحرام لله وحده فقد أمر الله نبيه أن يطلب من الناس جميعا أن يستمعوا إليه يتلو عليهم ما حَرمً ربهم.

وهذه المحرمات كما سنرى بعضها مُحَرمٌ بعينه، وبعضها مُحرمٌ لازمُه وأول هذه المحرمات هي: ﴿ألا تشركوا به شيئا﴾..

---

(١) سورة النحل ١١٦.

(٢) سورة الأنعام ١٤٣.

والشـرك بالله هورأس المحـرمات ورأس الخطايا، يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه :

«قلت يارسول الله أى الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك»[1].

وهو الذنب الذى لا يغفر يقول الله تعالى :

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[2].

وسـلامة العقيدة منه، وخلوص الإيمان بالله وحده هو سبيل النجـاة، والقـاعـدة التى يقـوم عليهـا بنـاء الـدين كله فما لم تسلم العقيـدة من كل شوائب الشـرك لا يسلم العمـل كله مهما كان فيه من مظـاهـر الخـير، وإذا سلمت العقيـدة من كل شوائب الشـرك سلمت الأعـمال الصـالحـة ورشحت صاحبهـا للثـواب العظيـم فى جنات النعيم، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«أتـانى جبر يـل فبشرنى أنه من مات لا يشرك بالله شيئا من أمتك دخل الجنة»[3].

والله تبارك وتعالى ينهى بقوله : **﴿ألا تشركوا به شيئا﴾** عن كل مظاهر الشرك، سواء كان شرك الأنداد بأن يجعل لله شريكا من آلهة أخرى، أو شرك الصفات بأن نعطى لبعض المخلوقات بعض صفـات الله كما أعطِىَ عيسى ابن مريم صفـة الألـوهيـة، أوشرك الأفعـال بأن يعتقـد فى بعض المخلوقـات قدرتهم أن يفعلوا أفعـالا

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة النساء ٤٨ .

(٣) متفق عليه .

فيستعان بهم فى النوازل ويُدعَوْن فى المصائب، ويرجى عندهم النفع، وهذا ما يعنيه بـ ﴿شيئا﴾ .

والوصية الثانية : ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ أى أوصاكم الله تعالى أن تحسنوا إلى الوالدين احسانا، وحرم عليكم لازم ذلك وهو عقوق الوالدين والاساءة إليهما بأى صورة ولو صغرت. قال الله تعالى :

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لها أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾[1].

وأنت ترى أن الله يقرن بين طاعته وعدم الاشراك به وبين بر الوالدين والإحسان إليهما رفعا لشأنهما، وإشعارا بعظيم منزلتهما، وحثا على إكرامهما، وقد كرر القرآن الكريم الحديث عن الوالدين وبرهما سبع مرات ليؤكد هذا السلوك الكريم الذى ينبغى أن يلتزمه كل مسلم مع أبويه، وقد أكد رسول الله ﷺ ذلك، يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه :

«سألت رسول الله ﷺ : أى العمل أحب إلى الله؟ قال : الصلاة على وقتها، قلت ثم أى؟ قال : بر الوالدين، قلت ثم أى؟ قال الجهاد فى سبيل الله» [2].

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

---

(١) سورة الاسراء ٢٣ .

(٢) متفق عليه .

«رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»[1].

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

«رضا الله فى رضا الوالدين، وسخط الله فى سخط الوالدين»[2].

والوصية الثالثة: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم﴾:

بعد أن أوصى الله الأبناء بالآباء أوصى الآباء بالأبناء ليقوم بناء الأسرة على قواعد متينة من الألفة والمودة والعلائق الطيبة، والأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع، ولما كان الإسلام حريصا على تكوين مجتمع قوى متماسك اتجه اهتمامه إلى بناء الأسرة على قواعد قوية من البر والود ومن الحقوق والواجبات التى يلتزم بها كل أعضاء الأسرة، فأوصى ببر الوالدين، وأوصى الآباء والأمهات برعاية الأبناء وحسن تربيتهم، وجعل من أكبر الذنوب إهمال شئونهم، يقول صلوات الله عليه:

«كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»[3].

يقول ابن مسعود - رضى الله عنه :

«قلت يارسول الله أى الذنب أعظم؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت ثم أى؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يُطعَمَ معك، قلت ثم أى؟ قال: أن تزانى حليلة جارك، ثم تلا

---

(١) رواه الامام احمد فى مسنده .

(٢) أخرجه الترمذى وصححه ابن حيان .

(٣) رواه ابو داود ورواه مسلم بمعناه .

رسول الله ﷺ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾(1).

ويقول صلوات الله عليه :

«إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات»(2).

وقتل الأبناء محرم فى كل صوره، وإنما تحدثت الآية هنا عن قتل الأبناء بسبب الفقر لأن ذلك كان معروفا فى الجاهلية، كما تحدثت فى آية أخرى عن منع قتل الأبناء خوفا من وقوع الفقر فى المستقبل، يقول الله تعالى :

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم﴾(3)

كما تحدثت عن بشاعة قتل البنات مخافة العار، يقول الله تعالى :

﴿وإذا الموءودة سُئلت بأى ذنب قتلت﴾(4).

والله تبارك وتعالى قد جعل من نعمه على عباده ان وهب لهم الأبناء والحفدة يقول الله تعالى :

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، وجعل لكم من

---

(1) رواه البخارى والآية من سورة الفرقان ٦٨ .

(2) متفق عليه .

(3) سورة الاسراء ٣١ .

(4) سورة التكوير ٨ -٩ .

أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات، أفبالباطل يؤمنون، وبنعمة الله هم يكفرون﴾[1] .

ومن كفر النعمة عدم رعاية الأبناء وعدم الاهتمام بهم والتعدى عليهم بالقتل وغيره وبخاصة إذا كان ذلك خوف الفقر، فقد تكفل الله برزق عباده، يقول الله تعالى :

﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾[2] .

﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها، الله يرزقها وإياكم﴾ .

ويقول صلوات الله عليه :

«إن روح القدس نفث فى روعى انه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها» .

والوصية الرابعة : ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ :

وهى وصية كريمة تستهدف نقاء المجتمع المسلم من الفساد والخبث حتى يظل مجتمعا طاهر السر والعلن، سليم المظهر والمخبر، والفواحش الذنوب الكبيرة التى زادت فى فحشها، وقد يراد بها هنا الزنى ، لأن قتل الأبناء فاحشة، وقتل النفس بغير حق فاحشة، فالفواحش هنا إذاً شىء خاص متميز هو الزنى، دل عليه قوله تعالى : **﴿ما ظهر منها وما بطن﴾** وإن كانت العبارة فى عمومها تشمل كل الذنوب الكبيرة، وقد كرر القرآن الكريم تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، يقول الله تعالى :

---

(١) سورة النحل الآية ٧٢ .

(٢) سورة هود الآية ٦ .

﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والاثم والبغى بغير الحق، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾(1).

والوصية الخامسة: **﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾** ولقد صان الله النفس البشرية، فلا يحق اراقة دمها إلا بما شرعه الله والذى شرعه الله بيّنه رسول الله ﷺ بقوله:

«لا يحل دم امرىء مسلم يشهد ان لا إله إلا الله وانى رسول الله إلا باحدى ثلاث، الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»(2).

وليس ذلك خاصا بالمؤمن فقط، فإن دم غير المسلم المعاهد محرم كذلك إلا بالحق يقول صلوات الله وسلامه عليه:

«من قتل معاهداً لم يَرَحْ رائحة الجنة»(3).

ولقد شدد الإسلام فى النهى عن القتل بغير حق، واعتبر ذلك جريمة من أكبر الجرائم، يقول الله تعالى:

﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾(4).

ويقول صلوات الله وسلامه عليه:

«لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق، ولو

---

(1) سورة الاعراف الآية ٣٣.

(2) متفق عليه.

(3) رواه البخارى والنسائى بلفظ مقارب.

(4) سورة النساء ٩٣.

أن أهلَ سمواته وأهلَ أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار»[1].

وبعد هذه الوصايا الخمس يأتى قوله تعالى: ﴿**ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**﴾:

ذلكم: إشارة إلى الوصايا الخمس... وهذا يعنى أن هذه الأمور الخمسة التى تكلمت الآية عنها ليست أمرا هينا، وإنما هى صادرة عن الله تبارك وتعالى فهى أمور ينبغى التزامها والحرص على تنفيذها لأنها وصية الله تبارك وتعالى وهى أيضا تقتضى أن نفكر فيها ونفكر فى صدورها عن ربنا المنعم علينا واللطيف بنا ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم**﴾.

﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن، حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا يكلف نفسا إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**﴾...

يبلغ أشده: يبلغ رشده.

القسط: العدل والتسوية.

لا يكلف نفسا إلا وسعها: لا نكلف أحدا إلا بما يستطيعه.

ذا القربى: صاحب قرابة كالأب والابن والأخ وغيرهم.

والوصية السادسة: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن**﴾ وهى وصية إلهية كريمة توجب رعاية اليتيم والمحافظة عليه وعلى ماله، واليتيم من فقد الأب وكان دون البلوغ.

---

(١) رواه ابن ماجة باسناد حسن ورواه البيهقى ورواه الاصبهانى وزاد الجزء الآخير منه.

والله تبـارك وتعـالى يبـالـغ فى النهى عن الاعتداء على مال اليتيم فلا ينهى عن أخـذ مال اليتيم فقـط وإنما ينهى عن الاقتراب منـه بقصـد التعـدى عليـه، وهـذا فيه ما فيه من وجوب العناية به والاهتمام بماله .

والأخـذ المبـاح من مال اليتيم إنما يكون بالتى هى أحسن، أى بالطريقة الحسنى، وهى أن يأخذ الوصى أجره على رعايته لمال اليتيم وتثميره والقيـام على شئونه، على أن يأخذ أجره بما تعارف عليه الناس لا حسب رغبته وهواه .

ولما كان الخطاب للأوصياء جاء النهى عن التعدى على مال اليتيم حتى يبلغ أشده، أى حتى يبلغ رشده، كما قال تعالى :

﴿فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾[١] .

وليس معنى ذلـك أنـه بعـد بلوغ الـرشد يجوز للأوصياء أو لغـيرهم أن يأخـذوا من مال اليتيم بغـير الطريقة الحسنى، فحرمة مال اليتيم بعد البلوغ هى كحرمة مال سائر المسلمين، والله تبارك وتعالى حرم الاعتداء على مال المسلم فى كل حال، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه»[٢]

وقد اهتم الإسلام باليتيم، ودعا إلى رعايته والعناية بشأنه، وحذر من الاعتداء عليه أو على ماله، يقول الله تبارك وتعالى :

﴿إن الـذين يأكلون أمـوال اليتـامى ظلما انـما يأكلون فى بطونهم نارا، وسيصلون سعيرا﴾[٣] .

---

(١) سورة النساء ٦ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة النساء ١٠ .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

«إياكم وبكاء اليتيم ، فإنه يسرى فى الليل والناس نيام»[1] .

ويقول رسول الله ﷺ مرغبا فى رعاية اليتيم والاهتمام به :

«خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»[2] .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

«انا وكافلُ اليتيم فى الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما»[3] .

والوصية السابعة : ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾ :

يأمر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يتعاملوا فى مكيالهم وميزانهم وفى كل معاملاتهم بالعدل ، فلا يأخذ أحد فوق حقه ، ولا يُعطَى أحدٌ دون حقه ، فإن هلاك الأمم بالظلم ، يقول صلوات الله عليه :

«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[4] .

وقد أخبرنا الله تعالى أن الذين يظلمون فى المكيال والميزان لهم عذاب أليم يوم يلقونه يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾[5] .

---

(١) رواه الاصبهانى .
(٢) رواه ابن ماجه .
(٣) رواه البخارى وأبو داود والترمذى .
(٤) رواه مسلم .
(٥) سورة المطففين ١ ، ٢ ، ٣ .

وقــد أخـبرنـا الله كذلـك ، أنـه أهلك قوم شعيب ـ عليـه الصـلاة والسـلام ـ لأنهم كانـوا ظالمـين فى مكيالهم وميزانهم ، قال تعالى على لسان شعيب يحذر قومه :

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاط المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾(1) .

وقـد جعـل الله تعـالى تعامل الناس فى مكاييلهم وموازينم وصية منه ليعلم العباد أن أعمالهم مراقبة من الله ، وأن صلاحهم فى التزام شرع الله ، وأن ضياعهم فى انحرافهم عن أمر الله .

وقـولـه تعالى : **﴿لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾** تيسير من الله على عباده ، إذ أن مراعاة العدل المطلق فى الكيل والميزان قد يعسر أمره ، فعلى البائع أو التاجر أن يبذل جهده فى تحرى الحق والعدل ، فان أصـاب العـدل فذلك هو المطلوب وان لم يصبه مع بذل الجهد فلا شىء عليه ، فان الله لا يكلفه إلا بما يستطيع .

والوصية الثامنة هى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ :

أى إذا قلتم قولا فيه حكم أوفيه شهادة أو فيه تقويم لأمر من الأمـور، فليكن قولكم ناشئـا عن الحق والعـدل ، دون ميـل مع الهوى ، أو انحراف لمنفعة ، فالحق أحق أن يتبع ، وقد طلب الله منا فى هذه الـوصيـة أن نكـون مع العـدل فى كل أقـوالنـا مهما كانت العـلاقـة التى تربطنـا بمن نشهـد له أونحكم عليه ، فإن من أهم

---

(1) سورة الشعراء ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

أسباب الانحراف فى الشهادة والحكم هو التأثر بقرابة القريب والرغبة فى نفعه أو دفع الضرعنه أو الرغبة فى التقرب من السلطان أو الخوف منه لذلك كانت هذه الوصية أسلوبا إلهيا فى تربية الضمير المسلم على التزام الحق، والوقوف عنده مهما تكن المنافع العارضة والشهوات الحاضرة، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[1].

ويرسم القرآن الكريم خطوط هذه العدالة السامية فى تلك الآية الكريمة من سورة النساء:

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين، ان يكن غنيا أو فقيرا، فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾[2].

والوصية التاسعة : ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ أى أوفوا وفاء مؤكدا تاما بعهد الله، وقد قدم عهد الله على الفعل اهتماما به وعناية بتنفيذه.

وعهد الله كل ما أمر به، وكل ما وصى به، وكل ما تتطلبه عبوديته وربوبيته، وعهد الله مركوز فى طباعنا، فنحن بحكم الفطرة عباد لله، وعهد الله مسجل فى كتابه، وقد تلقيناه واضح البيان قوى البرهان عن نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وعهد الله مبين فى سنة نبيه، فإنها بيان لكتاب الله وتكملة له .

---

(١) سورة النساء ١٣٥ .

فالتزام الطاعة لله وفاء بعهده .
والتزام البعد عما نهى الله عنه وفاء بعهده .
والتمسك بسنة رسول الله وفاء بعهده .

وقد مدح الله الذين يوفون بالعهد ولا ينقضونه بقوله :

﴿إنما يتذكر أولوا الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾[1] ثم يختم الله تبارك وتعالى هذه الوصايا الأربع بقوله : ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ .

و ﴿ذلكم﴾ : إشارة إلى هذه الوصايا الأربع ، وهذه الوصايا ليست وصايا البشر حتى يمكن أن نهملها أو نترخص فيها ، انها وصايا الله لكم ، وصايا ربكم الأعلم بكم من أنفسكم ، والأعلم بما يصلحكم . .

لعلكم تذكرون : والختام فى الآية الأولى بقوله تعالى : لعلكم تعقلون ، والختام فى هذه الآية بقوله تعالى ، ذلك لأن ادراك المصلحة فى الوصايا الخمس الأولى يحتاج إلى التعقل والفكر ، فوحدانية الله وارتباط سعادة الانسان بها تحتاج إلى العقل ، وسلامة المجتمع بالبعد عن الفواحش وصيانة الأعراض والدماء وارتباط ذلك بخير المجتمع ومصلحته يحتاج إلى العقل ، وأما الأمور الأربعة فى الآية الثانية فلخفاء المصلحة الحقيقية الدائمة ، ووضوح المنفعة الذاتية الحاضرة احتاج إدراك الخير إلى التذكر إذ كثيرا ما تحمل المنافع القريبة الانسان أن ينسى الحق ويغفل عن الخير .

---

(١) سورة الرعد ١٩ ـ ٢٠ .

والوصية العاشرة هى : ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ .

﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه﴾ صراط رسول الله ، هو صراط الله وصراط الله هو طريق الحق وهو الدين الذى ارتضاه الله لعباده ﴿قل اننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما﴾ .

وهذا الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين :

﴿اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وهو صراط واحد لا تعدد فيه ، ولا عوج له ، فمن ابتغى الحق فالحق واحد ، وليس له إلا طريق واحد ، أما الباطل فما أكثر طرقه ، ولهذا افرد الصراط المستقيم ، وجمع السبل الباطلة فقال :

﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ .

أى ولا تتبعوا طرق الضلال والكفر وهى كثيرة ، فإن اتبعتموها ابتعدت بكم عن طريق الحق ، فضللتم . . روى المحدثون أن رسول الله ﷺ خط خطا بيده ، ثم قال : «هذا سبيل الله مستقيما» .

وخطا عن يمينه وعن شماله (أى خطوطا مختلفة) ثم قال :

«هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ، ثم قرأ ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[1] .

---

(١) رواه الامام احمد فى مسنده .

وقد ختمت الوصايا بهذه الوصية لتؤكد ان التزام الوصايا السابقة كلها هو الصراط المستقيم الذى ينتهى بصاحبه إلى النجاة والفوز فى الدنيا والآخرة، سئل ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ما الصراط المستقيم؟

قال : تركنا محمد ﷺ فى أدناه، وطرفه الجنة»[1].

فالصراط المستقيم إذن أوله الحق الذى نسير عليه فى حياتنا بالتزام شرع الله، ونهايته الجنة إن شاء الله .

﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ :

ذلكم : إشارة إلى ما مر من اتباع الصراط المستقيم وعدم اتباع طرق الأديان الباطلة .

وصاكم : أى هذه هى وصية الله لكم أن تلتزموا طريقه وكتابه وشرعه . . . لعلكم بذلك تتقون اتباع طرق الكفر والضلال .

ولقد قال رسول الله ﷺ :

«أيكم يبايعنى على هذه الآيات» ثم تلا : **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم . . .﴾**، حتى فرغ من ثلاث الآيات، ثم قال :

«ومن وفى بهن، اجره على الله، ومن انتقص منهن شيئا أدركه الله فى الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة، كان أمره إلى الله، إن شاء أخذه، وإن شاء عفا عنه»[2].

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى .
(٢) رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح الاسناد.

المناقشـــــة

١ ـ يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه :

من أراد أن يقرأ صحيفة محمد ﷺ التى عليها خاتمة فليقرأ هؤلاء الآيات ﴿قل تعالوا. . . . إلى لعلكم تتقون﴾ .

ماذا يريد ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ بذلك؟ .

٢ ـ بدأت الـوصـايا بهذه العبارة، ألا تشركوا به شيئا، فماذا تعنى هذه الوصية؟ ولماذا بدأ بها؟

٣ ـ حرمت الوصية الثالثة قتل الأولاد من الفقر، فهل يعنى ذلك أنه يجوز قتلهم لغير الفقر؟ اشرح ذلك؟

٤ ـ فى الآية الأولى خمس وصايا هى :

(١) عدم الشرك بالله .

(٢) ....

(٣) ....

(٤) ....

(٥) ....

أذكر هذه الوصايا؟

٥ ـ فى الوصية السادسة حرم الله أكل مال اليتيم حتى يبلغ أشده، فهل يجوز أكله بعد بلوغ الأشد؟ اشرح ذلك .

٦ ـ لماذا ذكرت الآية ﴿لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾ بعد قوله تعالى : ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾؟

٧ ـ فى الآية الثانية أربع وصايا هى :

(١) تحريم أكل مال اليتيم إلا بالحق.

(٢) ....

(٣) ....

(٤) ....

أكمل هذه الوصايا كما ذكرت فى الآية الثانية.

٨ ـ ما المراد بعهد الله فى قوله تعالى : ﴿وبعهد الله أوفوا﴾؟

٩ ـ لماذا ختمت الآية الأولى بقوله : ﴿لعلكم تعقلون﴾؟

١٠ ـ ما المراد بالصراط المستقيم؟ وما المراد بالسبل التى إذا اتبعناها ضللنا؟

١١ ـ كيف شرح الصحابى الجليل ابن مسعود رضى الله عنه الصراط المستقيم؟

١٢ ـ شرح رسول الله ﷺ الصراط المستقيم هكذا :

اشرح ما يعنيه ذلك بعد أن تقرأ حديث رسول الله ﷺ.

سورة هـــود

فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

توجيهــات ربانيــة
من سـورة هـــود

﴿فـاستقم كما أمـرت ومن تاب معـك ولا تطغـوا ، إنـه بما تعملون بصير﴾ :

ولا تطغــوا : لا تجاوزوا حدود ما أمركم الله به بالزيادة فيه أو النقص منه . . .

يخاطب الله نبيـه صلوات الله عليـه آمرا أن يلتزم بما أمره الله به من أمـور الـدين ، وأن يسـير فى تطبيق شريعـة الله ملتـزما تلك الأوامـر الالهيـة دون خروج عنهـا لا بالـزيـادة فيها ولا بالانحراف عنها ، ولا بالنقص فى حدودها ، وكذلك كل من آمن معه من أمته عليـه ان يسـير فى حيـاته ملتزما بهذا المنهج ، منهج الاستقامة على شرع الله ، الـذى تضمنـه كتاب الله وسنة رسول الله ، فلا اختراع فى دين الله ولا ابتداع ، وإنما هو الطاعة والاتباع .

عن أبى عمرو بن سفيان بن عبد الله ـ رضى الله عنه قال : قلت : يارســول الله قل لى فى الإســلام قولا لا أسأل عنـه أحـدا غيرك ، قال :

«قل آمنت بالله ثم استقم»[1] .

وهـذا الحديث الشريف يلخص الإسلام كله . . . ويوضح الآيـة الكريمة . . . فالإسلام إيمان يعمر القلب ، واستقامة على ما أمر الله ، حيث تلتزم طاعته وتجتنب معصيته .

---

(١) رواه مسلم .

ولقـد كان لهذا التعبـير الالهى ﴿فاستقم كما أمرت﴾ صدى رهبة وخشية فى نفس رسول الله ﷺ حتى روى عنه أنه قال:

«شيبتنى هود وأخواتها» .

والتعبـير الكريم بقوله : ﴿ولا تطغوا﴾ يعنى الأمر ليس فى العمـل بما يطلب الله منـا فحسب، وانـما الأهم من ذلك أن نعمل ملتزمين بما شرع الله لنا، فلا نتدخل فى شريعة الله بادعاء ان نزيد فى الخير، فإن الزيادة عما شرع الله تدخل فى شريعته .

جاء رجـل إلى مالـك بن أنس ـ رضى الله عنه ـ يقول له : أرأيت لو أحرمت قبل الميقات؟ قال مالك: أخشى عليك الفتنة، فقال الرجل: وأى فتنة فى الزيادة فى الخير، فقال مالك: وأى فتنة أعظم من ان تدعى لنفسك خيرا لم يفعله رسول الله ﷺ، ثم تلا مالـك قول الله تعـالى: ﴿فليحـذر الـذين يخالفـون عن أمـره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[1].

أنـه بما تعملون بصـير: أى أن الله مراقب لكم فهـو يأمركم ويبصر أعمالكم ليرى التزامكم وطاعتكم أو انحرافكم أو زيادتكم ثم يجازيكم على الاحسان إحسانا، وعلى السوء سوءا.

﴿ولا تركنـوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ .

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا: ولا تميلوا أدنى ميل إلى الذين وقع منهم الظلم أى ظلم.

---

(١) سورة النور /٦٣ .

ومـالكم من دون الله من أوليـاء : ولن تجدوا من ينقذكم من عذاب الله ومؤاخذته .

نهى الله تعـالى فى الآيـة السـابقـة عن الطغيـان فى العمـل بالشـريعـة وهو الزيادة عما أمر الله به ، وهنا ينهى الله عباده المؤمنين أن يمـيـلوا إلـى الظَّـلَمــة الــذيـن تجاوزوا حدود ما شرع الله فى معاملتهم للرعية ، فنهى عن الميل إليهم أومصاحبتهم أو الرضا عن أعمالهم إذا ما وقع منهم أى ظلم للناس فما بالك إذا كانوا غارقين فى الظلم ، ان الله تبـارك وتعـالى لم يقل «ولا تركنوا إلى الظالمين» وانما قال : **﴿ولا تركنـوا إلى الـذين ظلمـوا﴾** وهـذا إشعار بوجوب ترك الظلم وتحـريض على البعـد عنـه ، والمقاومة له فإن الله تعالى هدد الذين يميلون إلى الذين يقع منهم الظلم بقوله :

﴿فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ .

وأنت ترى أن الله جعـل عاقبـة الـذين يميلون إلى من يقع منهم الظلم هى عذاب النـار، ولن يجدوا من ينقـذهم من عقـوبـة الله ، فليس لهم من ولى منـاصـر، وليس لهم مدافع يدافع عنهم ، فتكون نهايتهم الخسران والضياع ثم لا ينتصرون .

وإذا كان هذا مصـير من يميـل إلى الظالم ، فما مصير الظالم نفسه ، إن الله تبارك وتعالى يقول :

«يــاعبــادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلتـه بينكم محرما فلا تظالموا»[1] .

---

(١) رواه مسلم .

ويقول صلوات الله عليه :

«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[1] .

ولقـد أخـبر الله تبـارك وتعالى أن خراب الأمم وهلاكها إنما ينشأ عن انتشار الظلم فيها، يقول الله تبارك وتعالى :

﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾[2] .

﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل، ان الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين، واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ .

طرفى النهار: الغداة والعشى والمراد صلاة الصبح والظهر والعصر .

زلفا من الليل : ساعات من الليل قريبة من النهار وهى صلاة المغرب وصلاة العشاء .

إن الحسنات يذهبن السيئات : إن فعل الخيرات كالصلوات يكفر الذنوب .

ذلك ذكرى للذاكرين : ذلك عظة للمتعظين .

يأمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام باقامة الصلاة وهو أمر له، ولكل أمته، ويحدد الله أوقات الصلاة بقوله :

﴿طرفى النهار وزلفا من الليل﴾، فالصلاة فى الطرف الأول من النهار هى صلاة الصبح لأنها صلاة الغداة، والغداة أول النهار وصلاة البكرة، والبكرة أول النهار والصلاة فى الطرف الآخر من

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة النحل ٥٣ .

النهار هى صلاة الظهر والعصر، إذ الطرف الآخر من النهار بعد الزوال، وفى هذا الوقت يبدأ وقت صلاة الظهر، وفى آخر النهار تكون صلاة العصر .

والزلف من الليل كما عرفنا هى ساعات الليل القريبة من النهار، أخذا من أزلفه إذا قربه، والساعات القريبة من النهار هى ساعات أول الليل، وفى هذه الساعات تكون صلاة المغرب وصلاة العشاء .

وقد أطلق رسول الله على صلاتى المغرب والعشاء زلفتى الليل، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«هما زلفتا الليل، المغرب والعشاء»[1] .

وقد جاء الأمر باقامة الصلاة بعد الأمر بالاستقامة على الدين والنهى عن الطغيان فيه، والنهى عن متابعة الظالمين، وكما كان ذلك كله لا يمكن القيام به إلا باعداد النفوس وتربيتها بحيث تصفو القلوب وتتطهر الضمائر وتقوى العزائم، والطريق إلى ذلك لن يكون إلا باقامة الصلاة عبادةً لله وخضوعا له، ومراقبةً لجلاله وعظمته، فكانت الصلاة هى وسيلة التربية الإلهية لتلك الأمة المختارة، يقول الله تعالى :

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾[2] .

﴿وأقم الصلاة، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[3] .

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى .
(٢) سورة البقرة ٤٥ .
(٣) سورة العنكبوت /٤٥

وقد أصبحت الصلاة شعار المسلم وعنوانه، فهى التى تفرق بين مسلم يلتزم بإسلامه، وبين غير المسلم، وهذا ما يشير إليه ﷺ بقوله:

«بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»(١).

كما أن صلاة الجماعة هى شعار المجتمع المسلم، والتخلف عن صلاة الجماعة علامة النفاق وضعف الإسلام فى نفس صاحبه... يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه:

«ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف»(٢).

ان الحسنات يذهبن السيئات: أى أن الأعمال الصالحة تكفر الذنوب السابقة، وفعل الخير وتربية النفس عليه وسيلة إلى ترك الشر والاقلاع عنه، ولقد رغب الإسلام فى الخير حتى يستقيم فى نفوس الناس، وحتى يصبح طابعا مميزا للمجتمعات المسلمة، يقول صلوات الله عليه:

«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان».. ثم تلا قول الله عزوجل: ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر...**﴾(٣) الآية.

ويقول صلوات الله وسلامه عليه:

«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»(٤).

---

(١) رواه مسلم واحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الترمذى وحسنه.
(٤) رواه مسلم.

والحسنات تشمل كل الأعمال الصالحة والصلاة جزء منها . . .

ذلك ذكرى للذاكرين : **ذلك** : أى ما سبق من أمر ونهى مثل قوله تعالى : ﴿**فاستقم كما أمرت**﴾ وقوله : ﴿**ولا تطغوا**﴾ وقوله : ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا**﴾ وقوله تعالى : ﴿**وأقم الصلاة**﴾ كل هذه الأوامر والنواهى تذكيرا لمن يتذكر، وعظة لمن يتعظ والصلاة جعلت أساسا لهذا التذكر، انها تذكر الانسان بلقاء ربه ، وتذكره بعبودية خالقه . . . ﴿**وأقم الصلاة لذكرى**﴾[1] .

والقرآن كله تذكير بالخير ، وتوجيه إليه ، يقول الله تعالى :

﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى**﴾[2] .

واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين : يأمر الله تبارك وتعالى نبيه صلوات الله وسلامه عليه وكل من آمن به أن يصبر على أداء هذه الأوامر السابقة ، فإن فى أدائها مجاهدة للنفس ، ومشقة فى دفع عناد المعاندين ، والصبر هنا هوسلاح المؤمن الذى يتيح له النجاح فى أداء واجباته ، والنصر على أعدائه (إن النصر مع الصبر) ، والصبر بهذه الصورة احسان فى العمل ، والإحسان كما وضحه لنا رسول الله ﷺ :

«أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فإنه يراك»[3] .

فالمسلم فى صبره عابد لربه ، بل هو محسن فى عبادته ،

---

(١) سورة طه /١٤ .

(٢) سورة طه /٢ .

(٣) متفق عليه .

ولذلك بشره الله تعالى بقوله :

﴿فإن الله لايضيع أجر المحسنين﴾ .

أى أن الله يعطى الصابرين أجرهم وافياً كاملا فلا يضيع منه ، لأنهم أحسنوا العمل ، وقد وعد الله أن يعطى الأجر لمن يحسن العمل :

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾[1] .

بل لقد وعد الله الصابرين أن يعطوا أجورهم مطلقة دون حساب ولا تحديد :

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[2] .

﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ : هود/١١٦ .

لولا : هلا .

القرون من قبلكم: الأمم التى عاشت فى القرون السابقة .

أولوا بقية: أصحاب بقية من الخير .

ما أترفوا فيه: ما نعموا به .

يقول الله تعالى : هلا وجد فى الأمم السابقة من يقومون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى تستقيم مجتمعاتهم على الخير ، وتنجو من أخذ الله وعقوبته ، لكن الذى حدث أنهم

---

(١) سورة الكهف ٣٠ .

(٢) سورة الزمر / ١٠ .

انغمسوا فى شهواتهم وساروا فى ضلالاتهم إلا قليلا لم يتابعهم فى هذا الفساد فأنجاهم الله مما حل بأممهم من العذاب والعقاب، وقد كان النعيم والترف من أهم أسباب فساد تلك الأمم، فقد انغمست فيه تلك الأمم فدفعهم ذلك إلى الظلم والاجرام بحثا عن اللذات والشهوات ﴿**فكانوا مجرمين**﴾.

وهكذا يوضح القرآن الكريم لنا أن صلاح المجتمعات فى وجود الاتقياء الذين يجهرون بكلمة الحق، لا يخشون فى الله لومة لائم، يقول صلوات الله وسلامه عليه: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»(١).

فإذا خلا المجتمع من الدعاة إلى الخير القائمين على حدود الله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عامل الله تلك المجتمعات بعقوبته فتوالت عليها النكبات فى أرزاقها وأموالها وأنفسها.

يقول رسول الله ﷺ :

«والذى نفسى بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُن عن المنكر، أو ليوشِكن الله أن يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»(٢).

﴿**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**﴾:

ولا يستقيم فى حكم الله وسننه فى كونه أن يعذب أمة أصلحت شئونها، وقومت أمورها، وأقامت العدل بين أبنائها، فلم يحدث فى تاريخ الحياة كله أن عاقب الله المصلحين، بل على

---

(١) رواه أبو داود والترمذى.

(٢) رواه الترمذى.

العكس أنـه يوسـع عليهم فى الارزاق، ويفتح لهم أبواب البركات ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾[1].

إن سنـة الله الماضية فى مخلوقاته، أن يتيح الخير للصالحين، ويمهد طريق النجاح للعاملين:

﴿ولقـد كتبنـا فى الـزبـور من بعـد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾[2].

كما جرت سنتـه ألا يهلك أمـة إلا بظلمهـا وخـروجهـا على حدود الله وشـرعـه، بانتشـار الفسـاد فى ربوعها وسيطرة الشهوات على أفـرادهـا، وانغـماس قادتها فى الترف والنعيم وانصرافهم إلى اللهو غافلين عن مصالح الأمة وشئونها.

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[3].

ويقـــــول :

﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا، وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾[4].

ويقـــول :

﴿وإذا أردنـا أن نهلك قريـة أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾[5].

---

(١) سورة الاعراف /٩٦ .
(٢) سورة الأنبياء /١٠٥ .
(٣) سورة القصص /٥٩ .
(٤) سورة الكهف /٥٩ .
(٥) سورة الاسراء /١٦ .

المناقشــــة

١ ـ فاستقم كما أمرت . . . فى هذه الآية أمر ونهى . . . أذكر كلا منهما، واشرح الغرض منهما .

٢ ـ فى الآية الثانية : ﴿ولا تركنوا﴾ نهى للمؤمنين فعن أى شىء النهى؟

٣ ـ نهى القرآن الكريم عن الميل للظالمين، فماذا فهمت من موقف الإسلام من الظالمين أنفسهم، أيد رأيك بما تحفظ من آية وحديث .

٤ ـ أملأ الفراغات فى الآية التالية :

أقم.......... طرفى .... وزلفا .... أن..........
يذهبن ......

٥ ـ طرفا النهار يشمل صلوات
(١)　　(٢)　　(٣)
وزلفا من الليل يشمل صلاتى
(٤)　　(٥)

٦ ـ وأصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين :
على أى شىء الصبر كما فهمت من الآيات؟
وما صلة الصبر بالاحســـان؟

٧ ـ ما سر فسـاد الأمم ومـا سر صلاحها، كما تفهم من قوله تعالى : ﴿فلولا كان من القرون . . . ﴾ الآية؟

٨ ـ ما القـاعـدة التى وضعتها الآية لعقاب الله وأخذه، كما حددها قوله تعالى ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾؟